

نفسـير

أثرنا في هذا التصدير - عدة مرات - مشكلة الخلق الفني وصلته المجتمعية . ذلك أننا نؤمن بأن العمل الهادف - في معناه المجتمعي - هو أئمن علاقة بين الانسان كفرد وبينه كمجموعة .

ولسنا - في كل ذلك - ندعو الى المس من عوامل الخلق وتقييد أسباب الابداع ، ضرورة أن ذلك يناقض مبدأ أساسيا حرية الخلق من ناحية ، وأنه يمس النبع الوجداني مسا خطيرا من ناحية أخرى قد يؤول به الى نمط من التعبير أو ضرب من التصوير يبعد به عن جوهر الابداع نفسه ليكون شيئا آخر غير الانتاج الأصيل والابداع الفني الخالد .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

ولسنا - كذلك - في موقفنا هذا دعاة الى « القيد والتوجيه » بقدر ما نحن دعاة الى الأصالة التي لا تكون ولن تكون بدون الوازع التلقائي والشعور بالمسؤولية .

وهكذا يبدو واضحا أننا لسنا ضد حرية التعبير أو متكرين للالتزام الذي نعينه التزاما ذاتيا تلقائيا ، بعيدا عن كل إلزام أو توجيه ، بل نرى من الأكيد أن نعالج قضايانا الاجتماعية والمصيرية من داخل وجداننا وذواتنا ، انطلاقا من المجتمع الذي ننتمى اليه وأما برسالتنا نحوه ، وأما في الوصول الى خدمة « الانسان » ترسميا لأهدافه وتحليلا لمشاكله .

ونحن نعتقد أن اختيار أى موضوع نعيشه ونتفاعل مع أحداثه

ليس في حد ذاته بالمشكل الصعب ، بقدر ما تصعب إنارته واكساؤه
المسحة الفنية التي تكسبه طابع الروعة والخلود . ولهذا فان التجديد
- أى تجديد - اذا لم تكن رسالته جذب الجمهور حتى يتفاعل معه فانه
لن يكون إلا ضربا من التهويم ، أو هروبا من المسؤولية .

وعلى هذا الأساس فان دعوة « قصص » إلى الوازع التلقائي دعوة
في حد ذاتها إلى الأدب الذى يحياء عصرنا ويعكس انفعالاته
واحاسيسه . وليست الدعوة إلى « أدب الجماهير » دعوة إلى اللامبالاة
بالمضمون وبالتقنية الفنية . وإنما هى دعوة إلى أدب نابع من الحياة
ومن أعماق الذات الانسانية .

« قصص »



انسري بھکے

- إلى ضفدعتی -

قالت له : « هالو ! » ثم ابتسمت . نظر وراءه الى عتبة الجامعة ليتأكد من عدم وجود غيره . ثم قال لها في حيرة : « هالو ! » قالت : إنها لا تعرف المطعم الجامعي فهل يستطيع أن يرشدها رافقها .

كانت تأكل بشراسة . كان يأكل بالاندفاع . كان الجوع يحفر أعماقه .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

قال في نفسه : « سأصبح إنساناً . . . »

قالت : إنها تملك كلبين سكوثلنديين : أحدهما أبيض والآخر أسود .

قال في نفسه : « إنها خنزيرة سمينة تولد الرغبة والعزوف في نفس الوقت ، إنها خطيرة خطيرة كقنبلة صممت طويلا قبل أن تتكلم » .

قالت : إن أباهما ملحق بالسفارة (. . .) وأن أوقاتهما لا تسمح لها بالرجوع الى المنزل عند الزوال .

قال في نفسه : « لماذا تسكت القنبلة طويلا ؟ لماذا تنتظر أن يأتي أحد لكي يفتحها قبل أن تتكلم ؟ » .

قالت : إنها تكره العنف ولا تفهم لماذا يتقاتل المسلمون والهندوس من أجل بقرة .

قال في نفسه : « قد يكون في جوف القنبلة لولب يندفع فيدفع أمام وجه الانسان رأس قرد عجوز ؟! »

قبل أن تقول شيئا آخر أحس بربطة عنقها الانغليزية العريضة . تعطلت نظراته بين ألوانها الناشزة . تذكر أنه ليس في حاجة الى الشعور بالغثيان .

قالت : إنها علمت كلبها كيف يمد كل منهما لسانه ليلعق خيشوم الآخر .
قال في نفسه : « لو كنت جلادا لصنعت من ربطه عنقها مشنقة » .
قالت : إنها علمت ذلك لكلبيها لأنها رأت سكان التبت يفعلون ذلك عند التحية .

قبل أن يقول شيئا ألقى بملعقته ونظر اليها .
عندما رفعت ملعقتها الى فمها كانت فارغة .
عندها قال لها : إنه ليس على ما يرام ! لأن صورة الضفادع التي شرحها ذلك الصباح ما زالت تلاحقه .

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

تأخذ الحيوان . تخدعه . تتأمل مظهره الخارجي . لون أخضر لزج . تضعه على اللوحة . يكون الصدر في اتجاهك . تمسك بالدبابيس . تفرسها في القوائم ويكون الفلين صلبا . تمر الدبابيس من الجلد ثم من العضلات . تغوص في الفلين .

تأخذ المقص . تشرع في فتح الحيوان

سارت الى جانبه . سار هو الى جانب الحائط . سارت الجدران معهما . كانت العمارات كثيبة كجنود تحت أسلاك المفتر بمعاطف طويلة .

هناك شيء يجلبب الجدران . هناك شيء ينبعث من أعماقه .
نظرت الجدران الى بعضها . قررت أن تصمت . مجرد النظر يكفي .
نظر الى تلك التي تسير الى جانبه . قرر أن يتكلم . مجرد السير لا يكفي .

قال لها : « فى غرفتى مذياع فقد زره الذى يخرسه فانطلق لسانه • ولكنه لن يجد من يسمعه لانى هربت وتركته » •

قال فى أعماقه : « لو كنت بربطة عنق عريضة وبالوان ناشزة لتصورت كل الضفادع التى خدرتها » •

قرر أن يشعرها أنها أقرب اليه من ثيابه •

قال لها : « كان مذياعى قد صام طويلا ! لأن التيار الكهربائى لا يمر بغرفتى الا فى مواسم هجرة الحطاف نحو بلاد الشمس المشرقة • ولكن عندما انطلق أصبح يتكلم كثيرا ويصفر أكثر •• » •

كانت الجدران قد ازدادت قتامة •

قال فى أعماقه : « لو كنت قنبلة لما سكنت كل هذه المدة » •

قال لها : « فى غرفتى يحكى مذياعى عن فتاة انكليزية يزين جلدھا بقع صدى كئشى ترك تحت المطر طويلا • وكنت أعلم أنه ليس كل ما يقوله مذياعى صحيحا • ولكنى عندما ثبتت ضفدعة ونظرت اليها اعتقدت أن ذلك قد يكون صحيحا • وعندما تعرت أمامى ضفدعة انكليزية تآكلت أكثر أن مذياعى يقول أشياء كثيرة ولكنها صحيحة • وعندها تذكرت كل الضفادع التى شرحتها • وعندها تذكرت أنى فى حاجة الى الغثيان ••• » •

قال فى نفسه : « ستصبحين كمذياعى • كل ما ينقصك تيار يبعث الدفء فى لوالبك » •

قال لها : « سأجعل من شفتيك فنجان قهوة يبعث الدفء ! » •

قالت : « لا تكن أحرق ! » •

• • •

يكون المقص فوق الفتحات البولية • يفتح الجلد • تزيج الجلد • يكون الجلد أبيض من الداخل • تثبت الجلد بالدبابيس • تنظر الى عضلات الفخذين • تكون العضلات قوية ومشدودة • تأخذ المقص من جديد وتواصل فتح الجلد :

تمر بالبطن • ثم الصدر • وعند أسفل الرأس تفتح الجلد الى الجانبين ثم تثبته وتنظر الى الصدر •

* * *

ضحك بين شفثيه وحلقه • لم تسمع هي ضحكته • أحس أن الشمس قد اختفت • قرر أن يقول شيئا جميلا لا يجعله أحرق •

قال في أعماقه : « لست أدري الى أى مدى ستنفجر شفثاها تحت الضغط • هي لا تعلم أن كل الاشياء تفتح حتى تلك القنابل الحطرية » •

قال لها : « لو كنت جريدة قديمة لطويت فيك السندويش الذى أتناوله عند الغداء ولمسحت شفثى على قفاك الى أن تتمزق إحداكما • • »

كانت الجدران تنظر اليهما فى صمت • ثم بدأت قطرات المطر تفرغ الاسفلت فى كسل المفاصل المرتخية • نظر الى النوافذ الموصدة •

قالت له : « يبدو أنك تعلمت الشعر من مطرقة الاسكافى ! » •

<http://ArchiveBeta.Sakhril.com>

يكون المقص فوق الفتحات البولية • تفتح عضلات البطن • تبدو الأجهزة فوق بعضها • يبدو الجهاز التناسلى على شكل كويرات خضراء وصفراء تركب بقية الأعضاء • يكون المقص قد وصل الى عظام الصدر • تضغط على المقص قليلا • ثم تقص عظام الصدر • يبدو القلب ينبض • يكون القلب ينبض • تلاحظ أن لون القلب يتغير • تأخذ سائل « Ringer » تسقى به القلب • ترى أن القلب ما زال يغير لونه من أحمر الى أفتح • تثبت عظام الصدر بالدبابيس • ثم تنظر الى ذلك الشق الذى فتحت • تنظر • تلاحظ أنك تنظر •

* * *

كانت تسير ، يدها فى جيب معطفها • يدها الأخرى فى قفازها • على ظهرها امتد حزام حقيبة يدها • حقيبة يدها تنام على وركها • وركها كان يهتز كقلب الضفدعة بعد أن سقاء سائل « Ringer » •

كان يسير • وضع يده فى جيب معطفه • نظر الى الجدران • فى مكان ما من جسده تحركت أعضاؤه بعنف الصدمة التى تخرج الأشياء • تقطن الى ألم كان يزرع فيه سرطانا من الانفعالات • انفتح شق فى حائط العمارة الذى بجانبه •

توقف هو • سارت هى • • نظر الى الشق • نظر الى جوف الشق • لم يقل أى شيء • حلق مليا فى ظهرها وهى تسير • كانت تتحرك • حقيبة يدها كانت تتحرك • كانت شفتاه تنفرجان • تقلصت شفتاه • تقلصت عضلات وجهه • • تقلص قلب الضفدعة • كان فمه قد ازداد انفتاحا • لم يقل أى شيء •

نظرت هى الى جانبها • غادرت يدها جيب معطفها • • نظرت الى وراء • حملقت فيه • حلق فيها • كان لونها يتغير • تراجعت خطوات اليه • اقتربت • نظر الى الشق الذى فى الجدار • • نظر الى أعماق ذلك الشق •

مد يده • • حاولت يدها أن تنام فى أحضان جيب معطفها • مد أصابعه الى أعماق جيبيها • وجد القفاز • • وجد الدف • • كان الدف يأخذ منها حرارة يدها • تهربت أصابعها • • تحركت أصابعه • بدت الجدران فى نهاية الشارع كأنها تميل على بعضها • • لم تتهرب أصابعها طويلا • أخذت أصابعه مكان القفاز • • تنازلت له أصابعها عن دفئها • تبادلوا الحرارة • • ازدادت قطرات المطر تسارعا •

بدأ الشق يبتلعه • بدأت الجدران تجمد فى هيئتها الكثيبة • • غاصت نظراته فى نظراتها • تسمرت عيناهما كما تسمر جسد الضفدعة الى لوحة الفلين • غاص أكثر بنظراته فى عينيها • غاص بها الى أن أبصر أعماق الشق الذى وراء جمجمتها • • كان يصطاد شيئا • كان الشيء يهرب بعيدا فى أعماق عينيها وراء جمجمتها •

أصابعها كانت تقاوم أصابعه فى أعماق جيبيها • فى جيبيها استلقى القفاز جثة هامدة • استلقت جثة أخرى فى أعماق عينيها • كانت عيناه تتابعان ذلك الشيء الذى يتحرك خلال الشق • كان لونه يتغير •

غاصت أكثر في الشق • ابتلع الشق جسدها • بقيت شفتاها قسريتين
ودافئتين • حقيبة يدها كانت تغيب معها • كاد الجدار يبتلع شفتيها عندما
أغلقت عينيها • كاد الجدار يبتلعها معا عندما أحس أن شفتيها طريتان أكثر
مما كان ينتظر • وانفتحت شفتاها أكثر مما انتظر • في أعماق الشق وراء
جمجمتها كان هناك شيء يتقلص وينقبض • تحركت أصابعها في عنف •
ضغط بشفتيه أكثر • أحس بشفتيها تذوبان بين أسنانها وشفتيه •
فتحت عينيها في شبه غضب • استقام وجهه موازيا للجدران • تمتعت
تلك الشفاء المصورة : « قدر ! » •

ضغط على أصابعها • أَلَمَها • تمنى لو يغرس فيها الدبابيس •
قال في أعماقه : « أيتها القردة • كان يمكنك أن تمثلي بأقل إخلاص
لدورك ! » •

ابتعدا • عاد الشق الذي في الجدار إلى الالتئام • التأم شفتاها بنفس
التصميم بعد أن مررت عليهما لسانًا خافًا • انفجرت شفتاه • تقلصت •
قرعت أقدامهما الأسفلت • كان القفاز يتدلى من جيبها • بقيت حقيبة يدها
وراءها •

قال لها : « في غرفتي يقول مذياعى أشياء كثيرة تموت على موجات تعتمد
وتتقلص مع رقصات الأثير • في غرفتي تركت مذياعى يحكى عن عملية زراعة
القلب » •

تأخذ القلم : تكون الورقة بيضاء • تشرع في رسم الأعضاء والأجهزة كما
تراها • كما رأيته • تفكر في شبح تلك الفتاة التي تنتظر خروجك •
تحت قطرات المطر • تفهم لماذا سقيت قلب الضفدعة بسائل « Ringer » •

أحمد ممو

69/10/30



« بعل (I) » فى لباس المهرجات الهنود ينزل درج ايوانه ببابل •
« مينوش » الحاجب يهش له ويسير بين يديه مستدرجا اياه نحو ساحة
البركة كعادته به فى كل سبت • ممشى الحديقة مفروش ببساط أحمر
قرمزي ، تحف به الزهور من كل جانب •

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

يقول « مينوش » لربه فى انشراح :
- إنه يوم الأنس ، يا « بعل » الكبير •
يرد عليه « بعل » فى صرامة الآلهة :
- إنا خلقنا الأنس والبأس ، وعدلنا بينهما تعديلا •
يركع « مينوش » ، وهو يردد :
- جلت حكمتكم وعظمت قدرتكم ، يا « بعل » الكبير !
وعندما ينهض ، يتقدم ربه ، ويشير الى مجلس البركة ، وقد فرش
بالطنافس وصفت متكآته بالنمارق ، ويقول فى تحذلق :
- إنه مجلسكم المحبب جل جلالكم •
ثم ينحنى مفسحا « لبعل » أريكة الجلوس • ولكن هذا الاخير يعزف عن

(I) انظر « الحليقة الناقصة » فى عدد افريل 1970 من مجلة « قصص » •

موضعه المعتاد ، ويتجه الى أرجوحة كانت غير بعيدة ، فيستلقى فوقها كالمتعب .

يسزع إليه « مينوش » بالمائدة فيرفعها إليه ، ويضع عليها آنية الشراب وأطباق الفاكهة .

يستريح « بعل » لحركة الأرجوحة التلقائية ، فيرتخي ارتخاء النشوان . وتتعلق نظراته بالحوض الكبير وقد انعكست عليه ألوان الحديقة وظلالها فتذكره الحضرة المتموجة بين عينيه بفستان « عشروت » السندسي . ويتراى له خيالها على صفحة الماء رقيقا كلمسة النور ، فتستهويه الأحلام وتأسره أسرا .

يمد إليه « مينوش » بكوب من الراح ، فلا يبالي به أول الأمر . وخشى الحاجب رفضه للشراب ، فقال له مطربا :

— إنها — جل جلالكم — من سلافة بابل . عتقت في داموس الصرح قرونا عددا ، فرهفت وركت ، ففى بين السائل والروح أو هي أجل منهما معدنا .

— أخجلت أن تقول : إنها ابنة النار ، يا « مينوش » الذكى ؟

— بل إنها ابنة النور ، جل سناكم وتنزه !

يتناول « بعل » الكوب ، وقد شعشع منه الضياء ، ثم يدينه من أرنبتة ، ويظل يتشممه لحظة .

يرى « مينوش » ذلك ، فيقول له كالحائف :

— هل تجدون — جل جلالكم — فى الكوب رائحة السداد ؟

ثم يستطرد فى فطنة المذنب :

— إن لنا قوارير أخرى قد ختمت بحكمتمكم العظيمة يا « بعل » ! فهل تاذنون فى فتحها لكم ؟

— لا عليك يا « مينوش » إنها اللذة تسرى الى الروح عبر الحواس جميعا ، فنسكن للنكهة سكون الحشاشين .

يتنفس « مينوش » الصعداء ، ويقول مؤمنا على كلام ربه :

— إن ما تقولونه حق جلت قدرتكم وتعاليت هيبتكم !

يترشف « بعل » الراح من الكوب جرعة جرعة ، ويظل فى كل مرة يتتبع تدرج الحميا بين حلقة وجوفه • فاذا غاب ديبها ، تمطق هواء وروحا •

يقدم إليه « مينوش » طبقا فيه فاكهة ، فيختار منها « بعل » تفاحة •
يمسكها بين اصابعه ، ويتأملها قائلا :

— هذه التى حرمت منها هواء تحريما ، فاحتالت لبلوغها ، فحق عليها وعلى شريكها فى الجريمة الغضب واللعنة •

يستدرك « مينوش » على كلام ربه فيقول :

— ولكنها لكم حلال طيب ، يا « بعل » الكبير •

يضحك « بعل » ضحكة عالية ، يتردد صداها فى جدران الايوان وأعالى الصرح •

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ثم يسكت فجأة ، وقد أحس أن الرهبان قد أطلوا من نوافذ القصر وشرقاته •

وتستقر به الأرجوحة بعد القلقة والاضطراب شيئا فشيئا ، ويعود إليه سكونه المعتاد •

ولكنه لا يلبث أن يحتد من جديد ، ويصيح ملوحا بقبضته فى الهواء فى اتجاه الايوان :

— إنه لا طاعة للآلهة إلا فى حرمان العبيد • الحرمان أساس العروش العظيمة • والتحريم وسيلة لا يقام للربوبية صرح إلا عليها •

يلح « بعل » على هذه الجملة الاخيرة ، وكأنه يتوجه بها الى عاص كنود •

يسجد « مينوش » خشوعا ، ثم ينهض ويقول متحذلقا :

- إن طاعتكم ، يا « بعل » الكبير ، دين وسنة • ولن يخرج عليها أحد في ملكك •

يرد عليه « بعل » في تهكم ظاهر :

- إلا سلبية حواء ، عشتروت ، هذه الحليقة الناقصة والضلع العوجاء !
- ولكن جلالكم لم تأمروا بترويضها على الطاعة العمياء ، ولم تصدروا أمركم إلا بعزلها عن بقية الرهبان • ولو أنكم أمرتم « بغسل دماغها » لما أعوزتنا الوسائل ، وقد علمتنا منها ، يا « بعل » الكبير ، ما لم نكن نعلم •

- كنت عازما فعلا على عجن طينتها عجنا جديدا ، لأعيد خلقها خلقا طيعا ذلولا •

ثم يتنهد من الأعماق ويقول :

- ولكنني أزداد مع الأيام ترددا • وإنه ليظهر لي أحيانا أن حكمة الربوبية تقتضى الإبقاء على بذرة النزوة فيها ، حفاظا منا على مبدأ التوازن بين القوى •

يستدرك « مينوش » مستنكرا :

- ولكن العصيان لا يجوز في حقكم ، يا « بعل » الكبير • ويستحيل على العباد مطاولة الآلهة ، والتجرؤ على مقامهم العظيم •

- هذا هو الناموس الجارى به العمل ، ولكنه مع ذلك لم يمنعهم من الكفر والعصيان ، يا « مينوش » •

- أستغفرك ، يا « بعل » ، من نوازع الباطل وأعيذ بكم من كل وسوسة وضلال •

- لا تضع نفسك يا « مينوش » الحكيم موضع بقية العالمين ، فلك على مقامى دالة ، وعلى الأيوان سطوة ، وعلى الرهبان سلطة • وقدم تجربتك في الحكم تزيين لك المحافظة على الاستقرار ، والإبقاء على الأوضاع المتعارفة كما هي •

- أقسم باسمكم العظيم ، يا « بعل » ، إن كل الرعايا لكم عبيد ! وما منهم إلا خاشع ومنيب ، ومسبح بحمدكم ليلا نهارا في المشارق والمغرب •

- ولكن هذا كله يا « مينوش » الفطن لم يمنع عشتروت من تثبيت نظرها في لحيتي ، والتجروؤ على رؤية قروني .

- لعنت من فاجرة بغى ! ما كان لامة أن تفتح عينيها في وجه ربها أبدا !
وأصاب سباب « مينوش » مسمع الرب ونزل فيه كالوقر ؛ فما كان لحاجب أن يشتم خليفة موله ، ولو كانت فحشا وقبحا .

ويريد وجه « بعل » ثانية ولكنه يكظم غيظه ، ويقول معتذرا لعشتروت :
- إنها يا « مينوش » شابة يافع . وللشباب طفرة افتقدها الشيوخ ، فاستقبحوها . ولو لم تكن شيئا سمجا لما وجدنا في رفع الأعين أو الفساتين غضاضة أو وقاحة .

يسجد « مينوش » متذللا ، وقد أدرك عظم جرمه في ذم عشيقته ربه ، ثم يقول مسبحا :

- لقد سبق لساني بما دل على حقيقي ، فتجاوزوا عن ذنبي ، يا « بعل » الرحيم !

يعيد « مينوش » الجملة ويكررها ، وهو مطاطي الرأس ، فيستنفضه « بعل » ، ويفغر له قائلا :

- لا جرم عليك يا « مينوش » ما دامت نيتك الحفاظ على مقام إلهك ، وحماية عرشه ، وتركيز هيئته .

يستقيم « مينوش » وهو يلهج بحماس :

- أنتم ، يا « بعل » ، أدري بتفاني في خدمتكم ، والكيد لأعدائكم مهما كانوا .

- لا تنس يا « مينوش » أن الحلم هو أيضا من أسس العروش ، فاحفظه .
وهو كالفتك سواء بسواء ، أو هو أشد من ذلك مفعولا .

– ما أوسع عفوكم ورحمتكم ، يا « بعل » الكريم !

يخر « مينوش » ساجدا ، وعندما يستقيم بين يدي ربه ، يمد له هذا بالكوب الفارغة ، فيسرع الى الابريق ويصب له السلاف في تحبيب بين ، ثم يقول للمرة السبعين :

– انها روح لا راح ، يا « بعل » ! ما رأيت مثلها خمرة تسامت عن المادة ، فكان كرمتها لم تعرف التراب ولا الماء . وانما انبثقت من النور انبثاقا ، فحمل بها الهواء .

يتحسر « بعل » بينه وبين نفسه ويقول متنهدا :

– يا ليتنا كنا ترابا !

ثم يكفت السلافة في فيه كفتا ، بلا لذة ، أو تمطق . ثم يمد الكوب الى الحاجب ، ويقول له متعجلا :

– هات الثالثة يا « مينوش » عليا تدنينا من التراب لحظة ، وتقربنا من الخلق قليلا . فحياتنا – معشر الارباب – ليس فيها من اللذة إلا لذة الخلق . فاذا انتهينا منه اكتنفنا السمت ، وشملتنا البطالة .

<http://Archivebeta.sakhrif.com>

– ولكن في إمكان جلالكم التمتع بكل مخلوقاتكم بدون استثناء .
– نحن معشر الآلهة من الذين يتنكرون لحليقتهم ، ولو كانت آية في الجمال . المجود أيضا من دعائم الربوبية فلا تنسه يا « مينوش » !

– ولكن جلالكم أحرار في ...

يقاطعه « بعل » عندما يمد اليه الكوب ، ويحركه له بالحاح ، وهو يقول :
– هات الراح يا « مينوش » ، ولا تحرمنا من هذه التي قدسناها ، فأبيحت لنا قصدا .

يتقدم « مينوش » بالابريق متعجلا ، ويملا كوب ربه حتى الحافات .
يرفع « بعل » الكوب ويتأمل مليا ، وكأنه يفتش في ما انعكس عليه من الالوان عن شيء عزيز افتقده . وعندما تستقر به الرؤية على فص أخضر من النور المتموج ، يلقي بالكوب على حافة البركة فيحطمه تحطيمًا .

وتجھظ عينا « مينوش » ، ويتسمر مكانه ، ثم يندفع كالمجنون نحو المائدة ، فيبعدھا عن الرب ، ويركع مكانھا ركوع من يترقب وقع السيف على عاتقه الممدود . ويعود الى « بعل » هدوؤه ووقاره ، فيمسح بيده على رأس « مينوش » الأشيب ، ويقول له بلهجة متعبة عطوفة :

— عد بنا يا « مينوش » الوفى الى الحذر ، فانى ارى أنس اليوم قد ولى .
— أمر جلالتكم نافذ . . السمع والطاعة !

ثم يستطرد ، وهو يللم ثياب ربه القضاضة :

— بدأ النسيم يبرد . لا بد لكم من الراحة والدفء .

ثم يعينه على النزول من الأرجوحة ، ويقوده كالكبش الهرم الى القصر ، حيث يكمل بقية يومه فى عزلة وانقطاع . بينما يعلن « مينوش » على الباب بأحرف نورانية :

« إن صحة « بعل » قد توعكت توعكا طارئا ، ومن المنتظر أن يعود إلى تولي مهامه السامية غدا صباحا على الساعة الثامنة كالمعتاد ، فلا تتخلفوا » .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

عمر بن سالم

الصخرة والعقابة

- كيف تضيء عيون الذئاب في الليل ؟
- كالمصابيح !
- ولماذا وضعت المصابيح في عيون الذئاب ؟
- لأن الآله شاء الرأفة « سيزيف » فأعطاه مصابيح في عيون الذئاب ليلا .. حتى يستطيع أن يتأمل الوضع الذي يدفع نحوه الصخرة .
- ألم تفكر الذئاب في اقترام « سيزيف » .. لا بد أنها مؤدبة .
- لقد طلب منها الآله ذلك ، ومنح « سيزيف » أيضا الشمس في النهار .
- لماذا لم يمنحه أشياء أخرى .
- مثل ماذا ؟
- مثل التوقف عن دفع الصخرة لمدة ما .
- بذلك يزول العقاب .. كل ما منحه الآله هو أن يضيء له الطريق ؛ فأعطاه الشمس في النهار ، وعيون الذئاب في الليالي الحالكة ، والقمر الفضي الجميل لما يشاء الآله ذلك .
- لكن ماذا صنع « سيزيف » حتى استحق هذا العقاب ؟
- يقال ويقال .. وقد اختلفت الأقوال .. وكل ما نعرف أنه مجبور على دفع الصخرة بدون توقف .. يصل بها الى قمة الجبل يرقبها وهي تتدحرج من الجهة الأخرى الى السفح .. ويلحق بها « سيزيف » لكي يدفعها الى أعلى من جديد .

- بلغنى أن « سيزيف » صار يقوم بعمله على طريقة أخرى .
- إنه لا يستطيع ! فقد حلت به لعنة الآله .
- ألم يصلك الخبر ! فقد سكن « سيزيف » فى الصخرة .
- سكن « سيزيف » فى الصخرة . وكيف يسعه ذلك .

- لما كانت الصخرة فى حركتها الجسدية مجذوبة نحو السفح كان « سيزيف » يفكر . وأعياء التفكير . . كان يتأملها فبدأ له أن ثقباً صغيراً يتسع كل يوم فى أحد جوانب الصخرة . . كان الثقب يتسع ويتسع ففرح « سيزيف » وظن أن العفو سوف يشملها قريباً ، وتحطم الصخرة الملعونة . لكنه لم يكن ليؤمن بهذه الفكرة فأخذ يبحث عن شيء يسد به الثقب ولم يجد هذا الشيء . . وواصل الثقب اتساعه المستمر . . مر زمان ولكن شيئاً لم يقع . وظل « سيزيف » فى حيرة . وذات يوم صار الثقب فوهة كبيرة . ومنذ ذلك اليوم توقفت عن الاتساع . وراقبها طويلاً وتحقق أنها لم تعد تتسع .

- وأخيراً هل عثر على شيء يضعه فيها ؟
- وجد ذلك الشيء . . ووضع فيها نفسه .
- ومن يتولى دفع الصخرة بعد ذلك ؟
- وجد حيواناً غريباً وقوياً ، وربط فى عنقه الصخرة .
- قل « العربية » . . !

- صحيح . . وأصبحت عربية .

- لكن كيف ينزل هذا الحيوان من أعلى وهو يجر الصخرة أو العربية دون أن يسقط « سيزيف » ؟

- لقد فكر « سيزيف » فى هذا . وكان يخشى قوة هيجان هذا الحيوان . . وعندما يصل الى قمة الجبل يحرر عنق الحيوان مبتسماً مستأنساً بمداعبة ظهره .

- إن « سيزيف » لذكى حقاً وخبيث . . ماذا صنع به الآله ؟
- لا أعتقد . فقد يكون الآله هو الذى أرسل ذلك الحيوان لأمر ما .

– هل تفاضى الآله عن ذنب « سيزيف » الى هذا الحد فسهل عليه الاشياء وأعطاه حيوانا يجر الصخرة مكانه ؟ ما هو ذنب هذا الحيوان ؟

– ذنبه أنه حيوان .. من الممكن أن يكون ذنبه قد تعدى ذنب « سيزيف » فحلت به لعنة الآله .

– أعتقد بهذا ان الآله خفف عنه العقاب ؛ فأرسل اليه من يساعده على دفع الصخرة ؟

– لا أدري . لكنى أرى أن « سيزيف » لم يعد يبذل نفس المشقة التي كان يبذلها من قبل ؛ فقد أصبح يحمل بعد أن كان يدفع الصخرة فى عناء . أصبح لا يتكبد إلا مشقة النزول . لقد نقص من على كاهله قرابة ثلاثة أرباع الحمل .. أتحسن تقدير الأشياء ؟

– الاشياء على خلاف هذا .. لا تنس أن الجبل وعمر . وعندما يجر الحيوان العربة التى يسكن داخلها « سيزيف » فإن الرجات تكون عنيفة . وكثيرا ما يستسلم المسكين لرجات عنيفة وغثيان وألم . يصل أحيانا الى قمة الجبل فيجد نفسه قد فقد شيئا من وعيه ولا يقيق من الجديده إلا على عويل الذئاب المتجمعة حوله ، أو على حرارة الشمس التى تنفذ الى دماغه كالمنبه . وقد لا يميز أحيانا القبة من السفح .

– قالوا : إن تلك الرجات أخلت بصحة « سيزيف » ، وهو الذى كان يعتقد أنه وجد الراحة فى وضعه الجديد . وذبل وفقد حيويته . لعلها سخرية الآله منه .

– أخيرا ترك مسكنه ورضى بأن يدفع العربة الصخرية بيديه .. فضل أن تتجرح كفاء على أن يفقد توازن دماغه . فهذا أفضل من أن يعذبه دوار ويفقد معرفة وضعه إن كان فى الأعلى أو فى الأسفل .

– بلغنى أن قدمى « سيزيف » حرثتا الجبل .

– وجاءت أشجار خضراء تكسو الجبل .

- وصار مجبوراً على قطع الأشجار التي تعترض طريقه حتى يجد سبيلاً لدفع العربة . أصبح يقتلع الأشجار التي تنمو بسرعة . . صار يبذل عناء أكثر ويمسح العرق بأوراق الأشجار . . أصبح يضيق وقتاً أطول للوصول إلى القمة .

- وسمح له الآله بأن يصنع عربة من خشب الأشجار التي كان يقتلعها . . لم يفرح « سيزيف » تماماً لأنه شديد التعلق بصخرته .

- وصنع « سيزيف » العربة . . كانت عربة كبيرة الحجم . . عليه أن يملأها بالتراب والحجارة وأوراق الأشجار . . ويدفعها بيديه كالصخرة تماماً . . لكن هذه المرة أصبح يبذل عناء أقل ؛ فالعربة تملك عجلة مدورة تساعدها على السير وعلى الدوران أمام جذوع الأشجار . .

وفرح « سيزيف » باختراعه فصوت العجلات يؤنسه أيضاً . . وجد فيه توقيعاً جميلاً . . وجلب هذا التوقيع إنساناً جميلاً ونحلاً . . كان هذا الإنسان يرقب « سيزيف » منذ أيام . . ويصغي باهتمام إلى صوت العجلة . . وقرر في أحد الأيام أن يجزؤ ويخاطب « سيزيف » . . وفعل . . ففزع منه « سيزيف » وفر هارباً دافعاً عربته دون أن يلتفت . . ولكن الوجه الجميل لم يياس . . وعاود الكرة وخاطب « سيزيف » بلين ، فبهر « سيزيف » بسحر ذلك الإنسان لما تأمله هذه المرة ، وأخذ بروعة كلامه . . وقبل عرضه على مساعدته في دفع العربة الثقيلة . . واعتقد « سيزيف » مرة أخرى أن الآله يريد التخفيف عنه . . وأصبح الشخص الجميل يدفع معه العربة . . وحدث ما لم يكن في الحسبان . . الذئاب أرادت افتراس الرفيق الجميل الذي لم تره من قبل . . . وضاح فيها « سيزيف » وأمرها بملازمة الأرض . . وفعلت . . فمر عليها بعربته الثقيلة وقتل منها الكثير . . وشاع الخبر في الجبل . . ووصل إلى الذئاب الأخرى وبلغ منها الغضب مبلغاً عظيماً وقررت التنكر « لسيزيف » عازمة على اقتناصه مع رفيقته . . ولم تعد تنير له الطريق بل تبحث عنه في حلق وغضب وأدرك « سيزيف » الخطر المحدق به فاصبح يختفي في عربته عندما يتنبأ بقدموها . . وظلت الذئاب تطارده ، وينجح « سيزيف » في عدم الوقوع بين مخالبها . . صار السير صعباً ، وعمر الخوف قلبه وعرف المشاغل . .

الرفيق الجميل لم يعد دائما مستعدا لدفع العربة • أصبحت تعثره نوبات من حزن وتعب فهو لم يعتد هذا العمل • ويكون « سيزيف » مجبورا على وضعه في العربة بعد أن يهيء له فراشا ليأمن من أوراق الأشجار - ويضاف وزن جديد على وزن العربة ، وأحس « سيزيف » أكثر من أى وقت مضى بشقائه - لم يعد رفيقه يساعده • بل أضاف إليه أتعابا جديدة • وفكر فى التخلص من هذا الرفيق اللعين لكنه وجد نفسه متعلقا به ، عاجزا عن القيام بأى شئ يمكن أن يسبب إليه ، لكنه لم يخل من الحنين الى صخرته الاولى ••

الرفيق الجميل صار يطلب أشياء غريبة • لا يدفع العربة إلا نادرا •• واعتاد « سيزيف » وضعه ، وأحبه • وعادت نغمات العجلة تؤنسه •• رضى بعدم اقتلاع الأشجار إرضاء لرغبة الرفيق الجميل الذى يرى أن الأشجار تصلح كمخبا لهما اذا طاردهما الذئاب • ثم هى تصلح لتضفى نوعا من الجمال على الطريق ••

ولمعت الأشجار وصارت كثيفة •• منظر الاخضرار يساعد على تهدئة أعصاب الرفيق فرضى بالعناء فى سبيل العثور على مكان يدفع نحوه الصخرة ••• من خلال الأشجار أصبحت الطريق شديدة الالتواء • وكان مستعدا لتحمل كل عناء فى سبيل ابتسامته نطالعه من وجه الرفيق الجميل •• رضى بوضعه لأنه كان يعتقد أن فى رضائه تحديا للآله الذى كان يسخر منه •

زهرة الجلاصى



- أنا الآن فى مرحلة التعفن •
- الادوية كثيرة •
- ليس فى الامكان ٠٠٠ فات الألوان •
- تحملى المسؤولية •
- صعب •
- وفى ذلك شخصيتك •
- لكنك وعدتني •
- مجرد وعد •
- لم لا تتحمل معى المسؤولية ٠٠٠؟
- لا استطيع •
- الجريمة مشتركة ، فتكون المسؤولية كذلك •
- واقع الحياة يفرض ان تكون المسؤولية محصورة فى شخص ليستطيع الناس التمييز •
- وواقع الحياة يعترف بانه على قدر الجرم تكون المسؤولية •
- نوع من المنطق •
- أنا الآن فى مرحلة القلق الحطير •
- مسؤولياتى تقلقنى •

- لم تصرح بها من قبل ١٠٠٠
- شؤون خاصة •
- صورت لى أحلاما عزيزة •
- انتهت باليقظة •
- حاول أن تجد لى حلا للخروج من المأزق •
- اذبحى الحرافات الذهبية فسيكون الحل والخروج •

* * *

أشار الى بالجلوس وقال :

- إن عملنا شاق ٠٠٠ عليك أن تعرفى كيف تخاطبين الزبائن ٠٠٠
- الأخلاق الفاضلة هى أساس التجارة ٠٠٠

ونظر الى مليا ، وأضاف :

- يظهر أنك فتاة مهذبة ، ونحن سنعتمد عليك ٠٠٠ اعتبرى نفسك صاحبة
- المفازة •

أظهرت استعدادى ، ووعدته بأن أكون حريصة على سمعة المفازة •

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

* * *

كان يتجول أغلب الأوقات فى المفازة ويتظاهر بالتأمل فى البضاعة، ولكنه كان يخزر الى ٠٠٠ كان طويلا ، نحيفا ، أسمر ، يتألق كثيرا فى لباسه ويبدو عليه أنه يحتل مكانة اجتماعية هامة ٠٠٠ كان يخاطبني بأدب ٠٠٠ يلقي الى بالتحية فى ابتسامة عذبة •

* * *

كنت أنظر كثيرا فى المرايا المحيطة بى ٠٠٠ لطالما أزعجنى وجهى فأنقم على عائلتى وعلى المجتمع ، ولكنى سرعان ما أتسلى بهذا الشاب الأسمر وبالمدير الذى يهتم بى اهتماما خاصا دون غيرى من الزميلات •

فاجانى المدير باقتراح ما كنت أتصوره :

- أعجبنى اجتهداك ، إنى أقدر نشاطك كثيرا ، وقد اخترتك لتكونى
- المسؤولة بعدى عن سير العمل •

قلت :

– مسؤولية عظمى •

نظر الى مبتسما :

– لتنتقاسم المسؤولية معا •

شعرت باعتزاز ، هؤلاء اللائي قضين مدة في العمل أكثر منى لم تحظ

واحدة منهن بالقبول لدى المدير •

تغير شعورهن ، حسدنى على هذه العناية ، تضاحكن ، وتغامزن •

قالت إحدهن :

– الزمان ربيع والعواطف متفتحة •

بكيت لانى أعرف أنها تقصدنى •



ARCHIVE

<http://Archive.org/Sakuntal.com>

تقدم إلى بكل أدب وحياء وقال :

– هل أستطيع أن أقابلك بعد العمل ؟

– هل تريد أن تشتري شيئا ؟

– قلبك •

– ففقت عيناك • سأخبر المدير •

نظرت إلى ذلك الشاب الأسمر ، وهو يخرج فى خيبة • لماذا أعامله

هكذا ؟ كان بإمكانى أن أخاطبه بلفظ ناعم • إنه يهوانى • كامل

النهار ، وهو فى المغازة يتأملنى • شعرت بالحسرة • وددت لو أننى

خرجت وراءه وطلبت منه الصفح • تأملت وجهى فى المرأة فرأيت الوشام ،

شعرت بمرارة • صرخت فى وجه عاملة كانت تحادث شابا • انسل

الشاب خارجا • طأطأت هى رأسها • احمر وجهها • لا بد أنهما

عشيقتان • اشتد لى • لم أجد ما أفعله • انتحيت ركنًا •

بكيت • الحب غير ممنوع فى هذه الحياة • الحياة رقيقة ناعمة •

العواطف هى أساس الوجود •

* * *

يا لطيف ! أنت السميع ... أنت العليم ... يا أرحم الراحمين ...
يا ابنتى حدة بارك الله فيك ... يا هنية اعطينى السجادة ... ناويلنى
القباب ...

* * *

- أقول لك لا علاقة لى بغيرى ... أنا أعرف كيف أخطط حياتى ...
أنا مثقفة ... أنا رئيسة الآن ... لن أسمح لأحد ليتحكم فى ...

- استمعى الى ، يا حدة ... والله ما أريد إلا نصحك *

- لا أريد أن أسمع هذا الاسم مرة أخرى * أنا اسمى « و داد » *

- أنا قرأت قبلك كثيرا فى مدرسة الحياة *

- أظننى أنى جاهلة ... ؟

- لو علم أبوك بسلوكك لغضب *

- أجتهد ، وأكاد ، وأنفق عليكم ، وهو دائما فى المسجد يسبح ويصل ثم

يغضب على ... أنا لست مستعدة للاتفاق عليكم ... فتشوا عمن يقوم
بشؤونكم *

- إذا أردت أن أهديك السبيل تشورين فى وجهى *

- أنا مثقفة ولست محتاجة الى النصائح ، أنا أعرف بشؤون نفسى *

- لكن أهل الحومة كلهم يتحدثون عن سلوكك *

- فقتت عيونهم ... أنا شريفة ... عندما أرجع متأخرة من العمل يظنون

بى الظنون * لم لا يتحدثون عن « هنونة » التى يسهر فى بيتها الرجال ... ؟

وعن « صالحة » التى تشرب الخمر ... وعن « أم الخير » و « حدود » ... ؟

وعن ... وعن ...

- كلام الناس صعب *

- قلت لك لا يهمنى كلام الناس ... أنا حرة ، وأعرف كيف أعيش *

- يا ابنتى « و داد » أنت ما تزالين صغيرة ولا تعرفين مصلحتك *

- دائما نقدك المزعج ... كفى ... أنا لا أستطيع تحمله ... مضى عهد
تحملت فيه السخافات ... اليوم غير الأمس .

- نحن أفنينا العمر فى تكوينك .
- يكفى أنى أكفلكم ... حقة نفة للاب ... قميص للاخ ... حذاء
للأخت ... المصروف ..

- وهل لنا غيرك ... أنت وحيدتنا ... دافعنا عنك الأيام ...
- يلزم أن أعيش حاضرى ... أنا فتاة عصرية .

* * *

يا لطيف ... يا لطيف ... يا لطيف ... اللهم عفوك ولطفك ...
يا أرحم الراحمين ... أين هى حقة النفة ...؟ الطست ... القبقاب ...
السجادة

ARCHIVE

- أصدقك القول يا « وداد » أنى أحبيتك منذ أن رأيتك ... كنت أتردد
على المغازة كثيرا لأراك ... من أجلك حرمت النوم .

- سامحنى ، يا حبيبى ... أنا عندما رفضت طلبك أول مرة كنت لم
أناكد بعد من عواطفك .

- من أى بلد أنت ...؟
- يقال إن أصلى من « جندوبة » ... لكنى لا أعرفها فانا اعتبر بنت
العاصمة .

- مثلى أنا بالضبط فانى من الكاف . ولكنى لا أعرفها ، فقد فتحت عينى
فى الجبل الأحمر فانا مثلك - اذن - ابن العاصمة .

- ما أسعدنا ...

- الحياة حب .

— الحياة حب .

— الزواج لا يكون إلا بعد المعرفة والمحبة .

— سنذل الصعاب .

— إذا كان هناك حب فلا صعوبات ... هل تذهبين للسينما الليلة القادمة ؟...

— اعتذر ، فان والدى محافظ جدا ... لم يتركنى أول الأمر أشتغل ثم قبل لظروف خاصة ... إنه لا يسمح لى بمغادرة المنزل إلا أوقات العمل ...
— إنى أخافه كثيرا ... على كل سأندبر الأمر وأتحمل المشاق من أجل حبنى .

* * *

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ! يا لطيف الطف بنا ... اعلم يا سى محمود أن حياتى مملوءة بالمتاعب والمشاق ... إن أخبار جندوبة قد انقطعت عنى منذ أن فارقتها .

* * *

— أنا مسكينة ... حياتى ضائعة ... حتى بعيد أن توظفت تتحكمون فى ... تطلبون منى أن أكون عجوزا وأنا لم أعرف الحياة بعد .

— الحياة صعبة .

— لا ... إنها سهلة ... أنت تخافينها لأنك لم تعتمدى على نفسك ... كنت تعيشين تحت رحمة والدى ... أنا مثقفة ...

— بنت العائلة هى التى يكون سلوكها مستقيما وتحافظ على شرف العائلة .

— أرجوك ، لا أقبل هذه الاتهامات ... أنا أعرف كل شىء ...

— علمناك لتكونى قدوة ...

— ماذا فعلت أنا ... حتى فى المدرسة فانى لم أعرف الحياة مثل زميلاتى ... أنا دائما فى بؤس ... بصراحة لا يهمنى حديث الناس ...

أنا حرة ٠٠٠ قبل كانت المرأة ٠٠٠ واليوم ٠٠٠ هل أعانكم أحد من الحومة
عندما كنا لا نجد ما نأكله ؟٠٠

– كثر أقاويل الناس وأنت على عتبة الزواج .
– أنا لا أعتبر أحدا ٠٠٠ المهم هو نفسى ٠٠٠ لم أطلب منك أن تختار لى
زوجا .

– والدك ؟٠٠٠

– لا علاقة لى به ٠٠٠ هو يعرف الحياة فى المسجد ٠٠٠ أنا أطعمه .

– لنا حق الأبوة .

– ألقى به فى الكانون .

– أصبحت طويلة اللسان ؟٠٠٠



اللهم عفوك ولطفك ٠٠٠ ارحم يا رحيم ٠٠٠ اعلم يا سى محمود انى خرجت
من جندوبة وليس لى ما أقوت به حتى الحمار الذى حملنا عليه المتاع
مات فى منتصف الطريق ٠٠٠ إن زوجتى ابنة عمى – أعزها الله – هى التى
شجعتنى على المسير ٠٠٠ رأيت الحياة ظلاما ٠٠٠ اللهم عفوك وسترك ٠٠٠
من يثق بالله لا يخيب .

– لله درك يا « وداد » أنت فاتنة حقا ، بارعة .
– شكرا لك ٠٠٠ انى ما أزال فى بداية الطريق .
– كل من فى القاعة أعجبوا بك وبجمالك .
– أحقا أنى جميلة رغم الوشام ؟٠٠٠
– إنه زادك جمالا .
– أنا حرة ٠٠٠ الحياة سكرة ٠٠٠ أنا أعيش يومى ٠٠٠ لذاتى هى
الأساس .

خرجت من المرقص قلت له :

- احتضنى ... اضغط على ... أنا امرأة ...

ارتيمت فوق السرير وقلت :

- أنا ككل امرأة أحب العنف ... القوة هى التى تميز الرجل ...

كان يعاملنى بخشونة ... ضغط على ... شعرت بالراحة ... قلت

كذا الحياة أولا تكون ... أحببت فيه الوحشية ... أحببت فيه العنف ...
العنف الذى به تكون اللذة ...

* * *

- ابنتى ، وداد ، أنت جاهلة ... أخاف عليك ... استمعى الى

نصائحي .

- أنا مثقفة ... أنا رئيسة ... يلزم أن تحترمنى ... علاقتى

الشخصية مقدسة ... على أن أعيش مثل زميلاتى ... ليس لأحد على

سلطان ... أنا حرة ... ألزم الجميع وأصبح المهتلين أمثالك ... أنت

تعيش من رحمتى ... <http://Archivebeta.Sakhril.com>

- اليس لى عليك حق الأبوة ...؟

- أنا أستطيع أن أعيش وحيدة ... دخلى يكفينى .

- لكن هذه السهرات ... أصبحنا حديث الحومة .

- عندما يستدعينى زميل لا أستطيع رفض طلبه ... فى مفهومك يعد

عيبا ... لو شاركت فى الحياة العامة لكان رأيك مخالفا لما تعتقده الآن .

- انتبهى لما أنت فيه .

- مضى عهدكم ... عهدنا عهد تحضر ... على أن أسير حسب أفكار

عصرى .

* * *

يا لطيف ! ... يا لطيف ! ... يا لطيف ! الظروف تغيرت ... المرأة هى

الحاكمة ... اللف بنا يا أرحم الراحمين ... الأب لا سلطة له ... اللهم
ابق علينا الستر ... الحاكم يناصرها ... يعيش الإنسان ويرى ...

- أشكرك على نشاطك ، أنا فرح لأن ظني كان صحيحا .
- انى أشعر أن هذا المتجر لى ، وعلى أن أرفع من قيمته .
- ذاك هو الضمير الحق ... المتفقد أننى عليك اليوم كثيرا وقد قرر أن
يكلفك بإدارة مغاظة .

- شكرا لك ...

- كل الزبائن يشكرونك . وهذا يشرفنا جميعا .
- أشكرك على هذه الثقة .
- أنا أعودك الى تناول العشاء معى .
- أبى محافظ ولا يسمح لى بالرجوع متأخرة عن وقت العمل .
- إنه مجرد عشاء بسيط وبذلك نستطيع أن نتحدث فى شؤون المغاظة
ثم سرعان ما ترجعين الى منزلك .
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

- على كل سأحاول أن أتدبر الأمر واقنع والدى .

عفوك وغفرانك يا رب ... اسمع يا سى محمود انى وصلت الى تونس
وأنا يائس من الحياة ... احتضننى ابن عم لى فسكنت معه فى الجبل الأحمر
وكنت أشتغل فى حضيرة ثم أصبت بحادث فطردت من غير تعويض .

- يا سى المختار ان سلوكها مشين ... يجب أن تضغط عليها .
- كيف لى أن أكون قاسيا معها ... فاتحتها المرة الماضية فلم تحترم
شيخوختى وما قاسيته من أجلها وهددتنى بالتخلي عن الانفاق علينا .
- أصبحنا أضحوكة .

- لكنى كبرت ولا اتحمل العمل ... أنا الآن لا أصلح الا للبيت والجامع .

- نساء الحومة كلهن يعيرننى بسيرتها .

- اسمعى يا « زعرة » أنت ابنة عمى وزوجتى وتعرفين نفسيتى ومدى

محافظةى ... علينا الآن أن نقبل الأمر الواقع ... ما اذا يهمنا منها ؟ ... هى

التي تتحمل مصيرها وحدها ... ماذا بقى لنا ؟ ... عما قريب سنغادر ...

هى التى ستندم ...

- يا سى « المختار » أنت تعرفنى منذ أن كنت صغيرة ... هل لاحظت

على شيئا غير مناسب ؟ ...

- لو لاحظت لما تزوجتك .

- أما هى فلن يتزوجها أحد .

- أنت تخوفين ، شباب هذا العصر لا يهمهم سلوك الفتاة ... المهم

هو ما فى جيبيها ... يحبون الفتاة الموظفة ولو كانت ...

ARCHIVE

http://Archivebeta.Sakhd.com

- الله هو الرزاق .

- أنا فى قرارة نفسى لا أقبل سلوك « حدة » ولكنى لا أستطيع أن أمنعها

من ذلك ... إنها قوية ... عنود ... أخاف أن تهرب عنا فنذوق

العذاب ... اسكتى ... هى تشتغل وتطعمنا ونحن نقبل الواقع حتى ...

يا لطيف أنت اللطيف ... يا رحيم ... اعلم يا سى محمود انى أنا

- وأعوذ بالله من كلمة أنا - إنسان تغربت كثيرا ودافعت الأيام بجهد وصبر

وما دام الله فى الوجود فلن يضيع أجر المحسنين ، سكنا فى أماكن كثيرة

وزوجتى - أعزها الله - كانت تشتغل فى المنازل وتملا نفسى ثقة وأملا ...

اللهم عفوك ولطفك ... اللهم عفوك ... اللهم-عفوك ...

- « وداد » أنت أمل فى هذا الوجود ... أنت ... أنت .

– محسن أنا لا أستطيع أن أعيش لحظة بدون ذكراك ... حتى الأكل قد
حرمته من أجلك .

– والذى مريض وأنا مجبر على أن أدفع مصاريف التمريض والمنزل ...
– لا تهتم كثيرا يا حبيبى ... كل ما عندى هو لك ... المهم هو أن تكون
سعيدا .

– انى محتاج الى عشرين دينارا لأنى فى ضيق ...
– أنا ومالى لك .
– أنا أعرف إخلاصك ، إنى خجول .

* * *

يا لطيف !.. يا لطيف !.. يا لطيف !.. مضى عهد البركة .. الدين
ضاع ... يا لطيف !.. يا رحيم أنت الرحيم ... الفتيات مثل
الفرنسيات ... الشبان منغمسون فى الملاهى ... اللهم لا تحاسبنا بأفعالنا .

<http://ArchiyeBeta.Sakhrit.com>

* * *

– اشربى فالليلة هى ليلة العمر .
– أنا سعيدة جدا بجانبك يا سى على .
– إنى مدبرك ولى حرية التصرف ... سأرفعك مكانا عليا ...
– أنا دائما تحت الأوامر ، خذ هذه القبلة عربونا .
– تسبقة حسنة .
– العربون هو الأساس .
– أنت المدير وأنا الموظف البسيط .
– نحن مديران ... فلننتقسم المسؤولية .
– بذلك يخف حملها .
– فاطمة دائما تستنقصنى .

- غدا سأطردها .
- أنا شاكرة كثيرا .
- اطلبى ما تشائين رغبتيك مستجابة .
- أطلب رضاك .
- لك زوحى ، يا حبيبتي . كم أنا مغرم بك وبسمرتك الجذابة ...
- اعتقد ، يا حبيبى ، أن هذه أول مرة أسهر خارج البيت ... ماذا سأقول لعائلتي ... إنها محافظة .
- أنا متيقن أن سلوكك شريف ... المتعة شيء بشرى ... المرأة مثل الرجل لا فرق بينهما .
- أنا لم أتمتع فى حياتى ... حياتى شقاء ... أريد أن اغتنم فرصة شبابى .

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

- سنتزوج وسننعم ، والحياة أملنا طويلة .
- متى سيكون ؟ ...
- عندما يكون الاتفاق .
- أوى موافقة وأبى يحبنى كثيرا ولا يرفض لى طلبا .
- الآن لست مستعدا .

يا لطيف ! .. يا رحيم ! .. اللهم لا تهلكنا بأفعالنا ... النشره الاخبارية تخيف ... علو الماء فى الفيروان خمسة عشر مترا ... اعلم يا سى محمود أنى شعرت بالهناء عندما أصبحت ابنتى موظفة ، وقد قررنا الاستقرار بالملاسين لأن مرافق الحياة فى تونس غالية أما هنا فإن الانسان يستطيع أن يعيش .

- عار عليك أن يرافقت شاب حتى باب المنزل .
- ذاك خطيبي وهو يحبنى كثيرا .

– أبناء السوء كثيرون •
– أرجوك •
– قالت لى خديجة جارتنا : « ستأتيك ابنتك يوما ما وفى حضنها طفل •• »

– ملكها الله بسبب فعلها •
– لباسك القصير أثار انتباه الحومة •
– لأنهم لا يعرفون الحضارة ••• عهدنا هو عهد « المينى جيب » والبنطلون والتجول مع الشبان ••• هذا ما يتطلبه عصرنا •

– أنا باعتبارى أمك لا أسمح لك •
– تسمحين أولا تسمحين من أتى يستشجرك فى الموضوع •••؟
– يعنى أنت دائما فى عنادك •
– احترمى نفسك ••• أنا حرة ••• أنا حرة •••
– والناس •••
– أنا لا يهمنى الناس ••• هذا هو سلوكى ••• لن أتخلى عنه •••
سيأتى صديقى محسن بعد حين وسأذهب معه لقضاء سهرة عيد ميلاده •

يا لطيف ! ••• يا لطيف ! ••• يا سى محمود اعلم أن من يطيع والديه ينال الجزاء الأوفر ••• أنا أشعر بالسعادة ••• شعرت بالنقمة أول الأمر على الحكومة لأنها سوت الرجل بالمرأة أما الآن فان نظرتى قد تغيرت •

– ليس لى مال ••• فتشوا عمن يطعمكم •
– نحن ربيناك ••• ذقنا العذاب من أجلك •
– أنا لن أبقى فى هذا المنزل ••• يخنقنى ••• يؤلمنى ••• ابقى فيه أنت وأبى ••• تغذيا بأفكاركما المتأخرة •••

- هداك الله ، يا ابنتى .
- يلزم أن أعيش عصرى ... سأل بس ... سأشعر بحريتى ...
- سأبتعد عن هذا الغاز المخنق .
- اذا لم نرض عنك فلن تنجحى فى الحياة .
- أنا فتاة عصرية ... أعرف كيف أتصرف ... رضائى عن نفسى هو الأساس .

* * *

- يا لطيف ! ... يا لطيف ! ... يا لطيف ! ... نحمدك على ما أنعمت يا أرحم
الراحمين ... يا عظيم الشأن ... أنت نعم المولى والنصير ... ستترك
وعفوك ، يا ربى ..
- يا « زعرة » قولى لوداد تعطى للولد عشرين مليما ليشتري لى حقة نفة .
- خرجت ولن تعود .
- أنا أصبحت شيخا لا أستطيع العمل ... سنموت جوعا ... أنا
دائما أوصيك ... اتركها ... أنا بحاجة الى النفة ... بحاجة الى
الأكل ... لا يهمنى سلوكها ... المهم .. الدراهم ... الدراهم ...
لا يهمنى نقد الناس ...

حمودة الشريف

حبيبنا وأممنا

• سقيا لعهد كنا فيه صبايا نرتع في ساحات المدارس وملاعب الرياضة ،
ونختال في زاهي الفساتين ، ونحن نشق الشوارع الى المدرسة أو المكتبة •
لم يكن الهم يعرف لقلوبنا طريقا ، كنا نمرح ، ونفرح ، ونضحك • كنا نقفز
ونجري ، ونهدأ ، ونحلم ، ونتيه مع الأنغام والكلمات العذاب حيشما وجدناها •

كل ذلك أصبح في خاطر الذكريات ، ومن ماضي الحوادث • لكنه لا
ينسى • إنه خالد في قلوبنا ما بقيت لنا قلوب •
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

أين نحن اليوم ؟ كيف نحيا اليوم ؟ إننا نفرق في المسؤوليات ، وتحترق
دأؤنا من أجل الانشاء والتعمير وبلوغ الحسن وإرضاء الغير •

تري أين رمت الظروف بفائزته ؟ وكم أنجبت سعيدة ؟ وهل سعدت منيرة ؟
دليلة ! أما تزال بسامة حاضرة البديهة كما عهدناها ؟

ودلندة قيل لي : أصبحت بدينة بشكل غريب سنتعب في التعرف عليها لو
شاهدناها صدقة •

وزينب ؟ يا عجباً لزينب ! ألم ترحل الى الجزائر مع زوج والده حبيب منذ
بضع سنين ؟ ألم تصلنا أخبارها رافلة في الخير ، ناعمة بالحب ، زاهية بالمال
والجمال •

إننا نراها ، وقد ظهرت في تونس من جديد وبشكل عجيب •• عليها سيما

الكهولة وملامح التيه والحيرة • إنها تسير فى طريق معين صباحا وظهرا •
يبدو أنها التحقت بعمل ما • ترى ما هى قصتها ؟ وأين زوجها وطفلها ؟

قلت فى نفسى :

« قد تكون زينب فى حاجة الى إعانة ما • قد تكون مهمومة تعاني مشكلة •
وقد أدخل عليها بعض السرور لوزرتها وسألتها عن حالها • سأحاول •
سأقتحم وحدتها ، وأطرق بابها وأذكرها برفقة الصبا والمدرسة ، »

ووجدتنى يوما وجها لوجه مع زينب •

— أهلا فاطمة • خطوة عزيزة •

— كيف حالك يا زينب ، وكيف هى أحوال السيدة والدتك ؟ علمت أنها
مريضة ، فجننت لأطمئن عليها وعليك •

— لا أراك الله سوءا ، يا أختى •

— الحقيقة ، يا زينب ، أننى متخيرة من أجلك كثيرا ، فهل تحتاجين الى
شئ ما ؟

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

— شكرا لك ، يا أختى • نعم أنا بحاجة الى شئ واحد ، بحاجة الى صدر
حنون أبته همى وأشكر اليه من دنيائى العجيبة •

— وكيف كانت دنيائك ، يا زينب • حيرتنى وملكت مشاعرى • عهدي
بك لا تعرفين من الأنعام إلا النغم الطروب •

وسرحت زينب مع ذكرياتها • ولمحت الدمع يكاد يطفئ من مقلتيها •
وأحسنت أنها فى حرج كبير ؛ فكتمت أنفاسى •

ونطقت زينب :

— فاطمة ! يجب أن أعد لك القهوة •

— لا تزعجى نفسك ، يا زينب •

— ليس هناك أى إزعاج • قولى كيف تحبينها •

— معلقة بن ، وثلاث سكر •

وقبل أن تقوم زينب إلى المطبخ مدت يدها إلى حقيبة صغيرة أخرجت منها رزمة من الصور والرسائل طرحتها أمامي على المنضدة وقالت لي :

— خذى .. تأملى هذه الرسوم ، واقرئى تلك الرسائل ، وستفهمين كل شىء .

وتأملت بعض الصور فإذا هى صور عائلية جميلة تمثل أبهج مواقف الحياة بين رجل وامرأته وطفلهما .

ومددت يدي إلى الرسائل ، فوجفت ، وتهيبت .. ترى ماذا تحوى ؟ ومن هى ؟ ولن هى ؟

تصفحت الاولى وقرأت :

« زوجتى العزيزة . زينب

سافرت منذ شهرين وتركتنى . البيت فارغ واسع بدونك ، بارد جامد . والطعام غير لذيق ، وجنيتى إليك يكاد يقضى عن جوانحي . أعود من العمل متعبا فلا أجده بالباب تسمين وتفتحين لى ذراعيك وتفرقينى فى الدفء والحنان : زينب العزيزة . فكرى جيدا . ابنتا تسمير يسأل عنك صباحا ومساء . والخادمة « نورة » تقوم بكل شؤونه على أحسن ما يكون .

أمل أن تتحسن صحة حماتى قريبا ، وأن تعودى إلى يا زينب ..

زوجك الهادى ،

وضعت الورقة الاولى جانبا ، وأخذت نفسا عميقا . ومددت أصابعى الى الرسالة الثانية وقرأت :

« زوجتى العزيزة . زينب

حدث أمر جلل ! مصيبة كبرى ، يا زينب ، انقضت على سماء بيتنا . تجلدى سأبوح لك بكل شىء . أعرف أنك متفهمة ، وأعرف أنك عاقلة .. وعندى أمل كبير فى ان لا تخذلينى ، وأن تقفى جنبى .. أنا تزوجت « نورة » خادمتنا . لم أكن مخيرا فى الأمر ، فاما أن أتزوجها لأدارى غلطة ارتكبتها فى ساعة

حرجة ، وإما أن أعرض سمعني ومركزي الاجتماعي الى الانهيار .. عودي إلى ،
يا زينب لنحل العقدة سويا .

زوجك الهادي ،

وضعت الورقة وشهقت . وأعدت قراءتها وشهقت . وحضرت زينب
بالقهوة . وأخذنا نترشفها صامتتين .

ونطقت زينب :

- هل قرأت الرسائل ؟

- نعم قرأتها . وفهمت كل شيء . وماذا أنت فاعلة بعد كل ما حصل ؟
يبدو أنك تتصرفين بأسلوب سلبي ، يا زينب .. تركت ابنك وأثاث بيتك ،
وكل ما لديك من ثياب ومصوغ وقبعت هنا .

- الحقيقة ، يا فاطمة أن المشكلة كانت أصعب من أن أعيها بسرعة ، وأقرر
فيها حلا معينا .

وتعلقت عينا محدثتي بالشفقة وتعلقت عيناى بها . وأنصت إليها تقول :

- أنت تعلمين أنني تعرفت على الهادي هنا في تونس عندما كان يدرس .
وكانت الجزائر ، موطنه ، تخوض معارك التحرير القاسية ، وقد خلف فيها أهله
وأحبابه . كان يعيش في حرج وتوتر . كان رقيقا جذابا ، حساسا ، شاعرا .
عرفني فأحبنى بكل جوارحه . وبادلته نفس المشاعر ، واتفقنا ، على أن لا
نفترق حتى الموت .

أسعدته ، وأسعدني . وملا كلانا فراغ الآخر . ورحلت معه بعد استقلال
بلادنا راضية مختارة . ولم أحس بالغبرة أبدا ، وأنا معه . أنشأنا بيتا وأنشأناه
بكل ما نتمنى . لقد شغل زوجي وظيفه سامية أهلتنا لكي نعيش عيشة
محترمة . لم أكن محتاجة الى العمل خارج المنزل . لقد خبأت شهاداتي العلمية
في مدرجي . ورضيت بأن أكون سيدة بيت ممتازة .

والقت الصدف بين يدينا بنتا من بنات الحى الذى نسكنه ترملت أمها

واضطرت الى تشغيلها ، فكفلناها واعتبرناها فردا من العائلة • اسمها « نواره » ليست بذات جمال يلفت النظر • وليست بذات طبع شاذ فى أخلاقها وعاداتها • كانت عادية جدا ، مطوعة • ألفتنا وألفناها • أخلصت فى خدمتنا ، وأخلصنا فى رعايتها • كانت لى - باختصار - صديقة بيت • ولم يكن زوجى يهتم بها اهتماما زائدا ، كما لم يكن يهتم بامرأة سوى • • أعرف هذا وأتحقق منه •

وذات يوم وصلنى كتاب من أمى تقول فيه :

« انها مريضة وتحس بالوحدة والألم » •

كنت إبنتها الوحيدة ، وكانت تحبنى بشكل خيالى ، وهبت حياتها كلها للعناية بى • لم تتزوج بعد وفاة أبى ، ولم تشتغل بغيرى • وعندما أینعت وحان قطاف ثمرتى ضحت مرة أخرى ، ووهبتنى لزوجى فرحلت معه وتركته وحيدة • ولم تكن أمى تبدي لنا سوى الرضا والسرور • كانت تباركنا ، وتوافق على كل ما نقرر • ورضيت أن تعيش وحدها هنا فى تونس حتى لا تحدث لى أية مشكلة مع زوجى •

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وكنت أعرفها صبورة لا تشتكى من صداع ، أو مفاصل ، أو قلق طارىء • تؤمن بالله وتعبد • تحذق زرد الصوف ، وخياطة الملابس • وتحب مطالعة المصحف ، ومطالعة القصص •

لقد كانت تكتب لى سابقا فتقول :

« إنها لا تجد وقتا فارغا لتفكر فيه بشئ • يحيرها » •

وكانت تمدنى بأغلى نصائحها قائلة :

« أسعدى زوجك ، يا بنتى ، بأكثر مما تستطيعين ، واحفظى بيتك ، وادعى ولدك ، لكى تسعدى ، وتسعدينى » •

ولهذا عندما وصلنى كتابها تحققت أن أمى فى خطر • وأنها بحاجة إلى • وعندما لم أفكر كثيرا فى زوجى وطفلى وبيتى ، فكرت فقط فى أمى وقلت :

« يجب أن أطير إليها ، وأن أنقذها » •

أودعت ابني لدى أبيه • وأودعت بيتي لدى « نواره » • وطرت بما خف من أدبأشى إلى تونس •

وجدت أمي في المستشفى ، وقد أصابها الشلل في بعض أعضائها فعشت أياها سوداء وليالي بيضاء • وأصبح شغلي وهمي إنقاذ أمي •

وتوالت على رسائل زوجي يشكو فيها من الفراغ الذي أحدثه غيابي عنه • وكنت أعرف طبعه •• فانه كالطفل الصغير لا يبدأ ولا ينأى إلا بين ذراعي •• عرفت أنه يقاسى •• ولكن ما حيلتي ، وأنا بدوري هنا أتجرع أكثر من مر واحد •

لم أكن قادرة على جلب ولدي معي ؛ لأن الموسم موسم مدرسة • ولم أكن قادرة على جلب زوجي ؛ لأن عمله يحجزه حيث هو • ولم أكن قادرة على الرجوع إليهما بسرعة ؛ لأن أمي مريضة وليس لها غيري • واليوم لا أستطيع أن أغير الواقع ؛ فقوانين بلادهم تسمح لهم بأن يتزوجوا أكثر من واحدة ، ولا أستطيع أن أعود لأرى خادمتي وقد غدت سيّدة في بيتي •

وانحدرت دموع زينب على وجنتيها • وانحدرت دموعي على وجنتي • وقمنا إلى شرفة البيت نطل على الشارع الزاخر بالصخب والضجيج • ولمحنا فجأة بانسة عمياء تضع على ركبتها رضيعا ، وقد تربعت في ركن الشارع ومدت يدها تستجدي المارين • فقلت لزينب :

– لن يجدي اليأس الانسان شيئا • ولن يجديه الغليان شيئا • احمدي يا زينب ، ربنا • وانظري ما يقاسى غيرنا •• صحتك موفورة وعقلك ناضج • وسلاح الكسب بين يديك ، فاملأي بالايمان قلبك •

واسترجعت زينب قليلا من هدونها وقالت :

– لقد أشار على أقاربي بأن أقيمها شعواء على الهادي • لكنني رجعت الى عقلي • وسألتهم • وتمثلت كل الذكريات الحلوة التي عشتها معه • وشق على أن أسبب له ضجة اجتماعية ، وهو الرجل الذي سعى دائما ليكون محترما ، ومجدا ، وتبنيها ومتفانيا •

لقد شق على كل ذلك • وجابهت كل المواقف بالصمت المطبق ، فلم أكتب له حرفا واحدا • ولم أحدث أمي ، ولم أتصل بصديقاتي • ولم ألبس لونا زاهيا • ولم أرفه عن نفسي منذ شهور • والتحققت بشركة الكهرباء أعمل ، وأغرقت ذاتي في بحر المطالعة والكتابة • ولست أدري ما لون غدّي •

ووضع غروب الشمس حدا لزيارتي فشددت على يد زينب مصافحة • وأكدت عليها بأن تزورني لنذهب سويا الى السينما •

فاطمة العلاني



الكذوب هو هو

رفعت عيني فجأة فرأيت شابا أسمر ذا بهجة وجاذبية أخاذة سلبت لبي في لحظات .

سرح ناظري وراءه .. أخذ يجري وراء الحافلة رقم « 5 باب البحر » ولما كنت من الراغبات في ركوب هذه الحافلة بالذات - اذ تقلني الى مكان عملي - جذبني التيار دون أن أشعر ودون أن أفكر حتى في التأكد من رقم الحافلة . ركضت وراءه ، وكل همي أن أرى هذا الشاب .. أن أرى ملامحه .. كان خمري الجبهة .. يمشي بقامة تروم خرق السماء ولحق الجبال .

عاودني الحنين الى شببي ، خطيبي السابق - إذ أفضل الأسمر - أما الخطيب فقد بعدت عنه كل البعد عندما اتضح لي أنه غير جدير ببناء العش السعيد ، وعندما عرفت الكثير والكثير عن سلوكه السيء .. عن غطرسته وحبهِ للبهجة الفارغة . وبعد أن حاولت المرور العديدة أن أردعه عن طريق الغي والغوضى لانقاذه من الهوة السحيقة التي تنتظره والتي فعلا وقع فيها بعد أن رمى بجميع النصائح التي وجهت اليه من أعز أقربائه ومحبيه عرض الحائط . وكانت الهوة حوة القمار ؛ كان مقامرا عنيذا قامر بكل شيء ؛ بالفيلة التي ورثها عن والده ، وبأشياء أخرى . وأذكر أنه جاء ذات مساء في أوائل الشهر ليقترض نصف مرتبي بعد أن خسر جل مرتبه في محنة القمار .

وفكرت كيف سأربط مصيرى بهذا المقامر الخطير ؟ وقررت التخلص منه .
ونذرت النذر والقرايين . وانتظرت الخلاص زمنا ليس بالقصير حتى تم
التباعد ! ويالها من مأساة حطمت ثلثى قلبي .

* * *

والغريب فى الامر أننى تخلصت منه ولم أتخلص من شدة ولهى واعجابه
بالأسمر . والأغرب من ذلك أننى أريده كخطيبي السابق يتمتع بكامل صفاته:
سمرة بشرفته . حديثه الجذاب . خفة روحه . كبرياه . أجل أهوى
الرجل المتكبر . وأسعد سعادتى أن أرى كبرياه تذوب أمام كبريائى .

* * *

ركضت وراءه . بنيت آمالى فى لحظة . شيدت قصورا بل ناطحات
سحاب . جريت وراء الامل ، والفرحة تغمرنى . تطيرنى بجناحين من
عذب .

وقفت الحافلة . صعدت بسرعة . سبقنى هو . وقف أمامى . لكنه
لم يلتفت . رجعتى الحافلة مرة فمرة وأخلتها لصالى .

وضعت أطراف أصابعى فوق كتفه فى رفق لكى يلتفت ، ولكن دون
جدوى . مرت الدقائق والثوانى بسرعة والشوق الى التفاتته يزداد شيئا
فشيئا ، وتزداد دقات قلبى عجلة وشدة . رفرفت روحى حوله عله ينتبه .
وكدت أياس . وأخيرا . ويا ليتها لم تكن تلك اللحظة ، ويا ليته لم يلتفت لكى
أعيش - على الأقل - مدة سعيدة ، ولكى أمضى بضعة أشهر أو سنوات أنتزه
فى رياض الامل . اسكن القصور التى بنيتها وأطل انتظره دون ملل ، اسكن
ناطحات السحاب ولو أياما .

لقد تلفت أخيرا . وياليتيه لم يفعل ! إذ وجدته خطيبي السابق ! خطيبي
الذى تخلصت منه بشق الأنفس .

تفهقرت خطوات . كدت أفقد توازنى . شعرت أثناءها بتعطيم البقية
الباقية من حطام قلبى .

سونيا يوسف

خلفنا يا ربنا

حسبك أنك عابر سبيل على ظهر قطار أجرب ...
قطار ... تناثرت منه المسامير ، ونتاجت في الواحه النخرة ...
قطار ... يسمح لصرير عجلاته وقع ...
قطار ... تصدر من أجزائه قرقة تخالها دقات طبال ...
دقات الطبال كانت تطربك وأنت صغير ؛ فترقص على وقعها كما كنت تود
لو ترقص على وقع قرقة القطار .
<http://Archivebeta.Sakhril.com>
قطار ... ركابه أشباح ...
قطار ... طريقه ضباب ...
مسافته ... لا نهاية لها ...
ركابه ... لا هدف لهم ...
وأنت مثلهم لا هدف لك ... بينهم غريب ، وتشعر بالغربة كأنك في عالم
غير عالمك ...

لم تحاول أن تعرف أسباب سفرك أو إلى أين أنت مسافر .. ما فائدة ذلك
ما دمت راكبا ... وقد يضجرك الركوب ويدخل على نفسك الملل « فتمحرد »
على اللوحات القاسية وتتأهب وتنتظر تحتك فتستقر نظراتك في قفة زاد
جارك ...

في قفة زاد جارك أشياء ملفوفة وجريدة ...

لو تستعير منه الجريدة ، وتقرأ تلك العناوين الكبيرة ؟ وترجعها إليه
شاكرا ٠٠٠ إنك تود دائما أن تقرأ ٠ ولكن الملالة تصيبك سريعا ٠٠٠ قال
المعلم مرة لأبيك :

« ولد نجيب تنقصه المثابرة ٠٠٠ »

تنظر حولك فتلاحظ فتاة تحاذيك ، تلتصق بك ، فتشعر بطراوة فخذها
ولم تتفطن قبل ذلك لوجودها ، رغم أنك لا تستنكر بأن تكون رفيقة سفرك ٠
أو هكذا تعتقد ٠٠٠ ترى من هي ؟ ما فائدة معرفتها ! ٠٠٠ ما دامت رهن
يمينك ٠٠٠ فلتمسك برأسها الجميل بين يديك ٠٠٠ ولتقبلها قبلة عميقة ٠٠٠
ولتداعب نهدها الكاعب وتطوق عنقها النحيل ٠٠٠ ولتوقد الغيرة في قلب ذلك
الشيخ ٠ ولتهمس لرفيقه الكهل ٠٠٠

— انظر ٠٠٠

— ماذا ٠٠٠



— ذلك الشاب وتلك الفتاة ٠٠٠

— مالهما ؟ ٠٠٠

— لقد حطما كل القيم ٠٠٠

— أى قيم تعنى ٠٠٠

— القيم الأخلاقية طبعاً ٠٠٠ هذا شيء لا يطاق ٠٠٠ نحن ، يا أخى ، جبلنا

على أن لا نمارس الغرام علانية ٠٠٠

— وهما جبلا على أن يمارسا الغرام علانية ٠٠٠ الفرق بينكم وبينهما أن

الجرأة تنقصكم ، والجرأة لديهما ٠٠٠

— يا لك من غريب ! ٠٠٠ أظن أن ٠٠٠

— يا لك من غريب فى مجتمع عادى ٠٠٠ لا تحاول أن تنظر إليهما هكذا

بوقاحة ٠٠٠

فليقل الشيخ ٠ ما حلاله من الكلمات ٠٠٠ ولتتقد فى قلبه الغيرة ٠٠٠

ولتنهشه ٠٠٠ أنت تستعذب تعذيب الشيوخ ٠٠٠ لماذا ٠٠٠ لا يهم ٠٠٠ ليقل
الشيخ كلماته ٠٠٠ نفس الكلمات تقريبا سمعتها من جار سكنك وما زال
يعيدها على مسمعك ويهددك كلما لاحظك تصحب امرأة الى شقتك ٠٠٠

وإن شوه في يوم ما بطاقتك الشخصية ، ورسم في وسطها خطأ مائلا أسود
يمتد من زاوية المربع الأبيض العليا الى زاوية المربع السفلى ٠٠٠ ففي لحظة
حرجة وددت أن تدق عظامه ، أن تشد شعرات لحيته الشيطانية ، أن تبصق في
وجهه ٠٠٠ وتسامحت ٠٠٠

كان الشرطي يقودك ويقودها ٠٠٠ كنت نصف عار ، وكانت نصف
عارية ٠٠٠ كل ذلك من فضوله ٠٠٠ لا يهم ٠٠٠

ولكى تستريح جيدا فلا بد لك من أن تمتسح فتاتك وتغيب بضع دقائق
تقضى فيها حاجة ملحة ٠٠٠ وتغلق الباب حولك وتنهمك مفرغا ما يجوفك ،
فيسيل ساخنا عذبا ٠٠٠ لكن أحد الركاب لا يرحمك حتى وأنت تبول فيفرعك
بطرقاته الحكيمة حينما الحادة حينما آخر ٠٠٠ البطينة حينما والمتلاحقة حينما
آخر ٠٠٠

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وتفتح عينيك في ظلام سرعان ما تبدده خيوط نور شاحبة تنبعث من كوة
في أعلى الجدار ٠٠٠ وتجول بنظراتك الثقيلة في أرجاء المكان فترطم
بمنضدة ٠٠٠

« فوق المنضدة كؤوس وحقائنها ٠٠٠ قوارير فارغة وأخرى منتصفه ٠٠٠
رمادة وأعقاب سقائر ٠٠٠ وعلى المنضدة غبار كرية تود لو تزيله ٠٠٠ قطع
نياب متسخة تود لو تفسلها ٠٠٠ لكن ٠٠٠ الوقت ٠٠٠ الوقت يعوزك ٠٠٠ »

« الوقت ٠٠٠؟ كلمة تنكرها ٠٠٠ »

« لولا الوقت ما ترصدك المدير خلف باب المدرسة وأنت تندفع الى داخلها
مبهور الانفاس ٠٠٠ تلهث ٠٠٠ منغوش شعر الرأس ٠٠٠ مهمل الذقن ٠٠٠
محمر العينين منتفخهما ٠٠٠ ويفاجئك :

- تعقل ...

- لست بمجنون ...

- أعرف ذلك ... لكن تصرفاتك هذه ... حالتك هذه لا تنبئ بمظهر إنسان يتمتع بكامل مداركه ، فضلا على مظهر المربي ... المعلم لا يركز كالصغار ليه ...

- لكن الوقت ...

- عليك احترامه ...

قلت مرة عن الوقت ، وقد أردت أن تتفلسف :

« مشكلة الوقت مصيبة العصر ... وتحك ذقنك مفكرا ، وتؤكد لمستمعيك فجأة : الا ترون معي أننا نطارد أيامنا ونلتذ بمطاردتها ... الانسان مل الحياة ، مل مشاكلها فخلق لنفسه وسائل إبادة ... إبادة الوقت ... إبادة نفسه ... أنا أيضا فكرت في التخلي عن هذه الحياة ؛ لأنني لم أستطع أن أبعد نفسي ، أن أبعد الوقت ... لأنني لم أستطع أن أحيها حياة نظيفة ...

وضعت جبلا في عارضة المطبخ ... أحكمت ربطه ... امتطيت كرسيها مرتعشا ... وضعت رأسك في « الحرتة » ...

لو أزحت الكرسي ...؟

تحس بحركة حذوك ... وتسمع « آهة » حلوة ناعمة ... تذكر ... البارحة ١٩٠

تذكر ... أن لديك امرأة ... امرأة وجودها في بيتك مخالفة ... معصية ... ثم إنها ابتلعت كل مدخراتك ... كل راتبك في بطنها « بستيها » .

لأجل مثلها وقفت في قفص ... ولأجل مثلها قال لك القاضي ...

- أتعرف أن الزنا حرام ...

- أعرف سيدي القاضي ...

كنت تود أن تقوله له : كيف تنهى عن المنكر وتفعله ... كنت تود لو تسأله : ألم يسبق لك أن ضاجعت امرأة غير امرأتك ... ؟

قال لك :

– ورغم ذلك ضاجعت امرأة غير زوجتك ... ثم لا يكفى هذا فتجاهرت بأفعالك المشينة ... ولم تحترم حتى أجوارك المحترمين ...

طاطات رأسك وصمت ... كنت تود أن تقول له : من قال لك ، يا سيدي القاضي ، إننى تجاهرت بأفعالى ... ثم إنى دخلت فى سر ... لكن جارى الشيخ تظن الى ففضحتنى ، ورغم صياحه المفزع واستنكاره لفعلتى أغلقت الباب . وكنت أظن أن الأمر قد انتهى حتى سمعت ...

طرقات على بابك .

وقد قلت : لا بد من فتح الباب ...

« كيف تفتح الباب وفى فراشك امرأة ... امرأة وجودها معصية ... استدور إليك بجسدها المحنى مقيضة العنين ... ستطوق عنقك بذراعيها اللحيمةتين ، ستدفن وجهها فى شعر صدرك ... ستفط غطيظ من يجهل الهم ... أنت لا تود أن تفعل هذا لانك تنكرها ... »

لقد اشتيتها فى لحظة ما ... وأنكرتها فى لحظة ما ... وربما ستشتيتها فى لحظة ما ... وستنكرها فى لحظة ما ... اشتيتها فى لحظة حطمت فيها رأس صديقك لما رأيته يضع يده على صدرها الكاعب ... لم تشعر إلا وقبضتك تهوى وقارورة الجعة على رأسه ... ترنج المسكين والتصق بالحائط وقال :

« ساموت ... »

قلت فى الحانة – ووافقك الجريح – « إن صاحبك لعبت برأسه الحمرة فضرب نفسه » دفعت ثمن الجعة وحملته بين يديك وأخرجته من الحانة والدماء تقطر زاعما أنك ستحمله الى المستشفى ... وفى منعرج قلت لصاحبتك :

– لقد أغمى عليه ... لا بد من التخلص منه .

تسائل لماذا فعلت ذلك ؟؟ اغيرة ؟! كل ما فى الامر أنك أردت أن
تستأثر وحدك بجسد المرأة ...

لما رأيتهما تخطر فى الشارع الكبير فخورة بلحمها الكثير خلت أن جسدهما
طرى ، ناعم كالأرنب ... ينضج لذة ودفتا ... ولما ضاجعتها برزت لك
عظامها ولا تعرف من أين ؟؟

فى الشارع كان جسدهما نائرا ... تفلسفت آنذاك وقلت :
« الثورة ؟! كلمة العصر وشعاره ... »

هى أيضا لا بد أن تكون « ثورية » ولا بد لتقاطيع جسدهما من أن تكون
نائرة ، بارزة ، جلية ، تغرى ... إن لم تكن كذلك فستكون حتما باردة ...
بضاعة كاسدة ... لولا ثورة جسدهما المحشو وتمرده على ثيابها المغضوطة ما
ولجت فراشك ، وما شوهدت صديقك ... و ...



طرقات على بابك ...

لا بد من أن تفتح الباب لثرى الطارق ...
وتخرج يدك ساعة لتفتح لك ثغرة تسمع منها أنباء المعمورة ، وحتى غير
المعمورة من الكواكب السيارة ... تعاليق على رحلة « أرمسترونغ » ... حرب
فتنام وفلسطين ... تأكل أهل نيجيريا ... انتفاضات السود فى أمريكا ...
! ... ستسمع كل ما سمعته بالأمس وقبل الأمس ، ومن أسبوع مضى ...
ومن شهر مضى ... ومن سنت مضت ... تفلسفت مرة وقلت :

« مهزلة الانسان ما تزال قائمة وآلامه متعددة ... » ما تخمد نار الحرب
فى خمارة حتى تشتعل فى أخرى ... فى حانة « ديان » تقاتل اثنان ولا تعرف
ما سيكون مصيرهما ... فى « النجم الأحمر » رجل يجرب بطن صاحبه بموساه ،
فأغلقت الحانة على زبائنهما جبرا فمكثوا محبوسين . ومن يعرف مصيرهم ؟؟
عند « ماير » اغتالت يهودية عاهرة عربيا ثملا ... فى (...) حطمت رأس
صديقك وتركته مغمى عليه فى أحد المتعرجات ...

وترفع مقتلتيك الثقيلتين فتتراقص نظراتك على الجدران الجرداء ... استقرت
نظراتك فى إحدى الزوايا حيث أراحيج الذباب ... مشانقها ... العنكب

ينصب الأحبولة والذبابة تموت ... لا بد للذباب من أن يموت ... ولا بد لـ ...

نقرات على بابك •

ولا بد من أن تفتح الباب ...

« أفتح الباب وعندك امرأة ! امرأة ما أنت فاعل بها ؟ امرأة وجودها مخالفة للقانون ... وجودها عندك معصية للدين ... امرأة لا بد لك من التخلص منها كي تفتح الباب ... الطريقة التي تستطيع بها إخراجها من بيتك ، أن تربط لها حبلا وتأمرها بالنزول من الشباك ... وفي نزولها فضيحة فما بقي لك إلا أن تقطعها إربا إربا وتضعها في المرحاض فيبتلعها السرب ...

كم تمقتها ... كم تنكرها ... عجباً لك من غريب ! .. كأنك نسيت أنك خطمت رأس صديقك لأنه لمس نهدها ...

لأجل امرأة فذرة ... لأجل امرأة حقيرة ارتكبت تلك الحماقة ... من قال : إن صديقك لم يمت ، من أجل أن يرفد دموى ... من قال : إن الطارق أحد أعوان الشرطة جاء ليصاحبك إلى السجن ... أتذكر السجن ؟ ...

قال لك القاضي :

سنة أشهر حبسا •

ارتعشت ... أحسست أن لوقع الكلمات وقع السكين الحادة في لحمك ... شعرت كأن الأرض تميد تحت قدميك أو كأنك تتركب إحدى طائرات « المانيج » ... شعرت بانهييار ... قال لك القاضي :

مع تأجيل التنفيذ •

وعدت ألا تقرب البغي ... وحاولت أن تعوض ذلك باتخاذك قرينة ، فخطبت بنت الجيران ... لكن أمها ... أمها لحصت حياتك في بضع كلمات ... قالت :

« أنا أعطى بنتى لواحد فاسد ... سكير ... زير نساء ... لا ...
لا ... زد على ذلك شهريته صغيرة ، وعمره كبير » .

وتذكر أنك كنت على سفر ... وانك كنت تبول فى مرحاض بقطار
أجرب ... اى سفر ؟ اى بول ؟ اى قطار ؟

وتنحسر يدك تتحسس الفراش فتشعر بالبلل ... وتلتفت وراءك فترى
الأجيرة تغط فى نوم ... وتسمع طرقات حادة على بابك ... فتتسلل من
الفراش تسعى على أطراف أصابعك لترى الطارق ...

محمد الهادى بن صالح



منعطف الطريق

قال الابن الصغير لأخيه الأكبر :

- سيدي ، شربة ماء .
- اصبر قليلا . الصبح قريب . فالنجوم أخذت في الاختفاء .
- سيدي ، عطشت جدا .
- النجوم أخذت في الاختفاء .

غادر تفكير الأخ الأكبر المنندرة والسراق واللصوصية وتركز على هذا الصوت الضعيف المنطلق في ضعف .

قال لي رفيقي ، الذي أتيت معه للفرجة والمتعة ، في حديقة الحيوان : فيما بين الرابعة والنصف والحامسة يعطى إليها عشاؤها .

قلت له : هل من عجب في الأمر ؟

قال : ستري عجبا .

وإذا كان الأب والأم والأختان والحماس قد عادوا الى القرية ، وإذا كان الأب والحماس مزعمين الرجوع بعد ثلاثة أيام ، أي غدا ، وإذا كانت القرية فارغة ، وكانت الليلة مظلمة ، وإذا كانت البئر بعيدة ، داخل الجبل وإذا كان في الجبل وحوش تخشى ...

قال لي : الآن نحن في منطقة الحيوانات الضارية .

قلت له : إذن في هذه المنطقة يوجد الاسد والسبع والنمر ...

فان الطفل لا يهيمه من ذلك شيء ، سوى ريقه الشائخ المتعطش الى جرعة ماء ، تحت تأثير الحمى التي تنهشه عنيفة حادة مشطة منذ مساء اليوم .

— سيدى ، شربة ماء .

— الصبح قريب ، قريب جدا ، انظر الى الفجر .

حملق فى الفضاء خارج الحيمة ، يعتصره الألم لهذا الصوت الضعيف الذى ينبعث من حجرة أخيه الصغير المستغيث ، فى هذه الفترة من الليل ، وذلك الجبل البادية منه قباب نائنة يحيط بها سواد أعتم ، يبعث الخوف فى قلبه . والاسد الذى يحكى عنه .

قال لى :

— عندما يقترب موعد إعطائها الاكل ، يتحرك الاسد من نومه ويزمجر .

قلت :

— لم أسمع الى الآن أسدا يزمجر أمامى ، إلا مرة فى السينما .

لا بد ان يكون متيقظا ، فى تحفز ، وقد يكون له من الهم ما يجعله لا ينام . وضعت يدي على الحاجز الحديدى ، الى جانب رفيقى وأخذت أنظر الى أحشاد الناس الوافدة لترى الاسد اذا اقتربت ساعة إعطائه الطعام . وأنظر فى نفس الوقت الى الاسد الأصهب الذى كتب عند أعلى قفصه « أسد افريقيا » مع لبؤته وشبلهما . ولم انتبه كثيرا الى الاسد الأشهب ذى الرأس المتساود المتفزز شعرا ، لانه ما زال نائما مع لبؤته ، وأحسست أن شيئا ما بينى وبين السياج ، ونظرت تحتى رافعا رجلى اليمنى ، التى وقعت على رجل الطفل الصغير الذى بينى وبين السياج .

— سيدى . مايسالش نموت بالعطش .

لذلك انتزع القربة من مكانها ، وفى السماء عقود النجوم ، وفى الجبل ، حيث البثر ، وحوش ضارية . لذلك وقف فى فم الحيمة ثم خطا الى الورا خطوات ، لذلك تملكه الشعور بالقوة ، وانطلق .

شمس هذا اليوم كأنها صيفية ، إذ تنغرز حرارتها فى المسام سخنة جدا .

والاطفال فى ايدى امهاتهم اللاتى يمسك ازواجهن برقابهن فى غزل ، وهم يتحدثون احاديث خافتة كأنها الوحوشة الى هؤلاء الاطفال أحيانا حينما ينتفضون فى حماس لرؤية الأسد الأصهب وقد قام وتكسل وتمغط وتمطى وفتح فما أبخر ، وقد كثر الجرى من هنا وهناك من الصبية المنفلتين من أيدى أمهاتهم اللاتى انفصلت أيديهن عن أيدى أزواجهن لرؤية الأسد . اما الأسد الأشهب فلم يتحرك وقد تحركت لبؤته السمينة ذات الافخاذ المكتنزة فاخذت تداعبه بعنف ، وأيدى هذا الحشد الممتد على طول السياجين المتحادين ، تشير اليهما . وقد تمكن الأمهات من الامساك بأبنائهن ، واخذت أنفاسهم الصغيرة تعلق ، وقد كفوا عن الجرى ، حتى وصل الجبل . تمهل فى سيره متحسسا ما حوله ، ضاغطا من أنفاسه ، غارزا عينيه . مد كهل أسمر من المتفرجين رأسه الى الامام ، وكور شدقيه ، ثم نفخ :

- احجحووو .

هو مواء ثعلب ، على حافة البئر ، قد أشعره بالخطر ، عندما كان هاما بالحروج ، وقد وضع فى القرية نصيبا من الماء ، فاخفى رأسه من جديد تحت الصخرة . فتح الأسد الأصهب شدقيه عن أقياب طويلة ، حادة ، اذ تيقظ إحساسه ، وقد أوشكت الساعة الخامسة . وقام الأسد الأشهب متناظلا ، فاقبلت عليه لبؤته هاشة . وقفت تحته على ظهرها ، وفتحت شدقيها تفازله من مؤخرته . فلم يله بها . تكسل . ثم تمطى ، ثم استقبل بأنفه الثقب الأسود المخلل بقضبان حديدية ، فى الجدار الخلفى للقفص . وبغطة ، احس ، وهو تحت الصخرة ، بحركة عنيفة ودوران حول البئر ، فتوقع . وأصاب سمعه صدى زئير عنيف ، حاد ، فوضع الصغار ايديهم على أذانهم . ووقعت عيناي على اللوحة المعلقة عند أعلى القفص الذى يضم الأسد الأشهب ، ولبؤته ، فاذا فيها : « أسد الأطلس - شمال افريقيا - توتس » .

قالت إحدى المتفرجات :

- مصكرين عليهم ؟

قال رجل متفرج لزوجه المتفرجة :

- اعتقد أن هناك شخصا يرقبهم خلف تلك الثقبه السوداء .

قالت المرأة المتفرجة لزوجها المتفرج :

- هل هما أسد ولبؤة ؟
قال شاب متفرج لرفيق له لاه بالنظر الى النساء :
- هل يدخل الذى يأتى لهم بالطعام ، الى القفص ؟
أجابه رفيقه المتفرج :
- اللحم الذى يؤتى لهم به يكون مخدرا ، حتى ينقصوا من العمليات الجنسية .

نفخ الكهل شدقيه ، ثم كور شفتيه ، ثم صفر . ولكن طفلا صغيرا متفرجا ، كور شدقيه ونفخ : « . اححوو » وعقدت فتاة قبضة يدها ، مهددة الأسد الأشهب ، وقالت :

- اسمع .
وتطلع طفل صغير الى أبيه يسأله :
- بابا ، هاذم متين جاييينهم ؟
فى كتل الظلام ، متوقعا الخطر فى كل منعطف يميل اليه .
قال لى رفيقى :
- إلا هذا الأسد الأشهب . ما زال غير عابى ، بما يحدثه الانتظار من القلق .

سألته :

- لماذا لا يقلقه الانتظار ؟

ابتسم وقال :

- اقرأ ما كتب فى اللوحة المعلقة أعلى قفصه .

وأخرج طفل قطعة الحلوى من فمه ورمى بها الأسد الأشهب على يقوم . فلم يعبأ به . واقتربت لبؤته من الجدار الحاجز بين القفصين وأخذت تتشم رائحة الأسد الأصهب فى دوران حول نفسها . ولما لم يعبأ بها مليكها أعطت الأسد بمؤخرتها ، فأخذت تضغطها على الجدار . وكان الأسد الأصهب لا يعبأ بها إلا قليلا . ولعل ذلك خشية من لبؤته أو حياء من شبلة ، بل كان ينظر باستمرار الى الثقب الأسود المظلم فى الجدار الخلفى للقفص ، وأحيانا يتجه اليه فى هجوم فتصد أنفه القضبان الحديدية التى

تتخلله • ولم يستيقظ الأسد الأشهب ، ولم يعبأ بإثارة لبؤته له ، ولا بمغازلتها للجدار ، حتى وصل البئر • هى بئر مسقوفة بصخرة عدا فجوة تمكن الجسد من دخول البئر ؛ واقعة فى منبسط صغير قد تناثرت فيه بعض النخيلات الضعيفة الجذوع ، قد أكلت دواب المستقنين سعفها ، وتكاثر تحتها بعن الأحمرة والأوساخ التى تلفظها أجواف الواردين • تشرف على المنبسط شجيرات تين وزيتون قد منعها علوها ، تطلع الى داخل البئر ، ثم نزل ، واضعا حبل القربة على كتفه الأيسر ، حتى استقرت قدماه فى الحفرتين الصغيرتين على جانبي البئر ، واختفى رأسه •

قال لى رقيقى :

— قد تكاثر المتفرجون على هذا الحاجز •

قلت له :

— لننتقل الى مكان آخر •

ووقفنا حيث يمكن لنا مشاهدة القفصين ، ولكننا أقرب الى الأسد الأشهب ، الذى بدأ يستيقظ ، إذ فتح عينيه ، وحرك ذيله ، ثم رفع رأسه فى اعتداد ، ثم فى عظمة ، ثم فى كبرياء ، ثم فى لا مبالاة وضع رأسه من جديد على ذراعيه •

وعندما تعب الأسد من البحث ، ولم يشتم رائحة الطعام ، أخذ يتقهقر الى الوراء فى حنق على الثعلب الذى جلبه بصوته ، أو على اللبؤة التى إيقظته ، أو على الطعام الذى لم يتمكن منه • وبعد زمن قصير ، أخذ المتقى بالصخرة يتحسس الجو من جديد ، ولما شعر بخلو الجولة ، تسلسل خارج البئر ، وأخذ يمشى على أصابع رجله ، والقربة على ظهره تكاد تفضحه • وتوغل فى الطريق • لكنه أحس فجأة بان هناك شيئا خلفه • فانتبه أكثر الى خطوات كانها الجرى السريع وراه • وتوقع هذه المرة • هو ذا الأسد الأشهب قد أخذ يجرى داخل القفص فى دوران محموم لاهث عنيف إذ تحسس خطر الانتظار وقد تجاوز موعده إعطائه الطعام ، أرغى • زمجر • تخبط • ضرب بذيله الأرض • وانطلق حامل القربة جريا فى الطريق الملتوية حتى خرج من الجبل ، والجرى وراه شديد ، والزئير لا ينقطع • وفجأة ، صرخت مفزوعا لما ارتى الأسد الأشهب على قطعة كبيرة من اللحم ، رمى بها من الثقب الأسود الذى

تتخلله قضبان حديدية فى الجدار الحلقى للقفص • تنبه المتفرجون الى صرختى ،
فقال الكهل الذى كان يصغر :

– السخط •

اخذنى رفيقى مبتعدا بى عن السياج ومنطقة الحيوانات الوحشية ،
وأخذت أقص عليه الحكاية :

– خويا • شربة ماء ...

إبراهيم بن مراد

تونس ، فى 70/5/9





التقينا ...

أتذكر ؟

جمعتنا صدفة شمس تونس .. جمعنا غرض واحد .. نادتنا طرقات بلادى
المشرقة .. الواحد وراء الآخر ..

ربما تقاربنا خطواتنا .. ربما تاهت .. ربما تسابقت ..

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ثم ..

ثم تزوجت ..

لم تحدث مقدمات ولا تشريفات ، وشمس الخضراء تصلينا * ثم تغيب من
فوق رؤوسنا .. ونحن ما تخلصنا من أحاديث طويلة ..

التقينا ..

أتراك تذكر ؟

فنان وفنانة .. فننا التفكير والتعبير .. وانفعالات تثيرها الشمس ..
تثيرها قوة الشباب ..

فنان وفنانة .. لا اختلاف بين وسائل فننا الا فى مجرد الاداة ..
اندفعنا ...

تقربنا شمس تونس * وفرقنا ليلاها .. الليل نعيشه فى انتظار الغد ..

والغد نحيا أوقاته الفارغة في نادينا أو في المكتبات العامة أو تحت الشمس
والطرق الجميلة تأكل أحذيتنا ، وتتعب أرجلنا •

واكتشفت ! •• اكتشفت بعد أيام أن هوة بيني وبينك يجب أن تردم ••
هوة ساحقة •• ساحقة ••

واختلفنا لاختلاف الاداة بيننا •• ولا غرو أن يكون طالب العلوم مثلك ماديًا
صرفًا •• ومع ذلك أدمنت صحبتك •• مصيبتى أننى تعودتك •• تعودت أن
أسير وإياك تحت شمس بلادى •• وفى طرقات بلدى ••

تعودتك بجانبى •• فى المطعم الجامعى •• فى النادى •• تعودت انتظارك
بجوار الواجهة البلورية ، وفى الاثناء أنزود بأخبار « لأكسيون » ، ولا بريس ،
والصباح ••

هوة ساحقة يجب أن تردم •• يجب أن ينام فيها تنازل أحدها ••
وتنازلت •• تنازلت عن ميدنى ، لا لضعفى بل اقنعت نفسى أنك - وبطول
المدة - قد تتغير •• وأوجدتنى نحوك -أخطو قليلا •• ثم ابتدا القفز •• وقفزت
بسرعة فائقة •• ثم ركضت •• لم يسيق أن كنت مادية من قبل •• ومع ذلك
أصبحت ••

كنت أعلم أننى أسرفت •• أسرفت عندما تنازلت عن ميدنى ، وقصرت
أيضا لأن البعض منه - والذى عنه تنازلت ، كان فى نظرى أمرا خطيرا - لم
يجد أى صدق عندك •• وكنت على يقين أيضا من أننى غير سعيدة بجانبك ؛
فأنا أخضع للطبيعة •• وأنت تسخر منها •• أنا أعشق الجمال ، انفعل
بالنظرات بالكلمات بالأحداث •• وأنت ! أنت تعبر عن الكل بالأرقام حتى
أصبحت أغار منها •• وددت لو أنك تذكرنى كما تذكرها •• تعشقنى كما
تعشقها ••

ولكن !

لا شيء من ذلك •• ولا شيء يذكر على الإطلاق من موافقى •• كنت - وفى
كل مرة - أقرر أن أبعد عنك •• فأجدنى منك أقرب •• أجدنى خائفة أيضا ••
أجدنى أنشبت بك •• أعشقك أكثر •• وتعودت ! •• لم أكن فى حياتى أو من

بضعف المرأة .. ولكن - وقد سبق أن قلت لك تعودت ، وليس من السهل أن ينقطع المدمن مرة واحدة ، ودفعة واحدة - سكنت واستسلمت ..

كنت رغم سكوني أحسننى مقدمة على حب نصرانى يمنعنى الدين من زواجه .. فالهوة التى خلقتها ردمت • ازدادت اتساعا •

وحاربت ..

أبدا ..

لم أحارب .. لم أشعر إلا وأنا فى طريقك .. وجودية مثلى ، وجودية ملحدة .. لم يعد ذلك الايمان القلبى يغمرنى .. وجودية ملحدة مثلك تماما • لا أكاد أومن بأى شىء بل فقتك •

لا تضحك أرجوك ..

وضعنا .. ضعنا فى الوجود ، وفى مفهومه • لم يعد يقيدنا مكان ولا زمان حيث نذهب نوجد ، حيث توجد وجدنا ، وحيث توجد لا نؤمن بأننا وجدنا .. أين نوجد ؟ يعنى وببساطة تأمة نحن : أنا وأنت موجودان • وكما طغت عليك فلسفة « سارتر » ازدحمت فى رأسى أنا الأخرى فلسفة الحيام • القبور معدمة من اللذات .. العمر صفقة واحدة .. لم يكن الحيام قد اتفق فى فلسفته مع « سارتر » ولكنه كان ينهب من اللذات ، ومع ذلك يخشى زوالها •

وصار همى ألا يضيع يومى .. ولم أفكر قط أننى قد تخليت عن شىء مقدس فى نفسى ؛ فالظروف تغير نتائج القيم الاخلاقية .. الظروف - ونحن أضعف من أن نواجهها - تملك علينا فترات مختلفة من حياتنا .. عقولنا .. قلوبنا .. حواسنا .. نظرياتنا أحيانا .. أو لعلها ليست الظروف وحدها هى المذبذبة • فسنتنا • سر فلسفة الشباب المطلقة هى الأخرى تقف منا موقف الأمر الزناهى •

و ..

وفقدتها ..

فقدتها دون عناء .. وقد عفا الله عن فلسفتى السابقة • ألا حياى الله معشر الفلاسفة وفلسفتى الجديدة .. الوجود هو اللاشىء ، هو عدم اللزوم : إنى

اوجد .. أنا موجودة .. إنى أجلس .. أنا جالسة .. دعنى اواصل ارجوك ..
الوجود ، فلسفتك الثانية ، التى فاجأتنى بها بعد أن مهدت طريق الالحاد فى
نفسى ، هو المجانية ، المجانية المطلقة وبالتالى المجانية الكاملة . كل شىء مجاني
فى نظرك .

حدثتنى كثيرا عن المجانية .. كانت كلمات كبيرة .. كبيرة .. كلمات
سبق لها ان تسكنت فى طبل الروتين .. الطبل الذى قرقع صوته أذنى
لينشق فجأة . وأقف على الحقيقة .. حقيقة نفسك .. تريدنى أن أكون فى
متناول يدك ككل شىء مجاني .. تريدنى كذلك كأنك - لا فض فوك - لم
تكن تعلم أى نوع من النساء أردت أن تستغلها ، أو تحتج عندما أقول : إن
طينتك المادة .. لقد صبح طنى .. كنت تقوم بعملية الانجذاب .. وفعلا
انجذبت ومع ذلك لم أستطع التقدم ؛ لأن مغناطيسك لم يكن ذا فاعلية .. لا
تقاطعننى اصغ الى .. سوف لن أنفعل ..

تبين لى - و انت تحدثنى - أن روح الانفعال لن تنبعث البتة من كلماتك ..
أحسست وسمعت .. سمعت تلك النفس .. نفسى تتكلم فى صدق نادر قلما
يصدر منها عن دمج كيائى فى كائن اسمى ، كائن أرقى من كائن المجانيات ..
كل كلمة قلتها ترددت فيها حاجتك .. كلمات تحمل - فى حد ذاتها - أكثر مما
يظن .. من خبث وخدعة .. جمل غامضة .. غامضة تماما .. ربما أنت وحدك
فهمتها لأنها تدفقت تحمل معانى غريبة ليس بها معنى خاص .. انها ضرب
من السخافة . ومع ذلك هزتنى هزا عنيفا .. الشىء الذى جعلنى أفحص
نظراتك فى بله ، وأدركت أنك دمل بشع .. كيف ! لعلك ، وانت الفيلسوف ،
تجهل أن حياتى وحياتك - ضمنيا - داخلتان فى حياة الآخرين وبذلك تعرف
نفسك وأعرف نفسى من خلال الناظر والسامع .. والمتكلم .. والناقد
والساخط .. هل كنت أدركت أنك دمل بشع لولاي .. لولا احتكاكك بى ؟ !
من قال : إنك كذلك ؟

خبثك ..

مثلك .. مثل القوارب المتعفة التى تضيق أحيانا فى الخلجان الموحلة . ومع
ذلك .. فلا هى تسقط ، ولا هى تتحطم .. إنها تبقى هناك تنتظر الغريسة
المغفلة .. تنتظر من يؤمها حتى تسقطه ولا تسقط . تبقى هناك عاهة بغيضة ..

بغیضة جدا تشوه جمال الحُلجان مثلك تماما .. أجل ! أنت دمل .. دمل
بغیض تخلل صفاء حیاتی .. دمل قدر یجب أن یسمح من آیامی .. ولو أن
آثاره ستبقى ! لأن ما حدث لی سبق أن حدث لأمثالی ، لنقل - اذن - هی مصیبة
الاختلاط فی بلادنا .. ومصیبة من أدمن علی شیء .. ولا تظن أنه یرتد عند
نصح النصوح ، بل یكثر إدمانه ، وعندما یشعر بشیء فی نفسه أهین ..
وهذا طبعا بالنسبة لذوی الکرامة والذین سقطوا فجأة .. مثلی تماما .. عند
ذلك یرتد .. إنی عفت نفسي ، وسأعافها .. وذلك بالاضافة الی غریزتی الی
لا تستطیع رؤية الجروح أو الدمل .. فكیف وأنت دمل بشع .. دمل کبیر ..
أرجوک ! .. لا تحمل نفسك هذه البسمة الساخرة .. إن وجهک الصغیر لا طاقة
له بمثلها .. أنت أعرف بوجهک منی وبنفسک أيضا .. علی کل .. إنک أقصر ..
أقصر من أن تطولنی یداک .. إنک قزم یصده حتی صدر امه ..

نتیلة التباينة



اوسكار وايلد

تعريب :

منجى الردادى

البلبل

عبد الوهاب

نبذة قصيرة عن حياة واعمال - اوسكار وايلد - Oscar Wilde (1)

ولد « اوسكار وايلد » فى دبلن سنة 1856 (2) . وكان محبا للعزلة عزوفا عن العلوم التجريبية التى كان كثيرا ما يميل عنها الى قراءة الشعر والادب الكلاسيكى . فاذى - وسنه لم يبلغ العشرين بعد - بالفن للفن على النحو الذى جاء به Pater (3) و Whistler (4) وبعض معاصريه . واتسمت هذه النزعة الفنية بالثورة ضد الاساليب القديمة المتكلفة والرجوع الى الاشكال الفنية التى كانت شائعة قبل

(1) أخذت هذه النبذة من مقدمة كتاب : The Works of Oscar Wilde

كتب المقدمة : G.F. Maine

وكتاب : The Oxford Companion to English Literature

وكتاب : The Penguin Dictionary of the theatre

(2) اختلفت بعض الكتب فى تاريخ ميلاد الكاتب . ففى كتاب : The Oxford Companion to English Literature ذكر التاريخ 1854 لكن الكتب الاخرى التى استطعت مراجعتها ذكرت 1856 . فوضعت التاريخ المتفق عليه فى اغلب الكتب .

(3) Walter Horatio Pater (1839 - 1894) أديب انقليزى عرف بأنه من أول من دعا لمذهب « ما قبل رافائيل » .

(4) James Abbot Mc Neill Whistler (1834 - 1903) رسام أميركى .

عصر Raphaël (5) فى بداية القرن السادس عشر • وبدأ ينظم الشعر ويكتب للمسرح فى أسلوب لم يستطع أصحابه فى أكسفورد بادئ الامر ، قبوله لكنه ما لبث أن شاع واصبحت غرفة « وايلد » فى دور الطلبة مجمعا لاصدقائه من محبى الفن •

سافر الى ايطاليا فاليونان فأميركا • وفى فرنسا اتصل بكبار أدباء وفنانى عصره مثل : Zola و Verlainé و Hugo و Dégas (6) و Pissarro (7) •

وصل فنه القمة فى السنوات الاخيرة من القرن التاسع عشر • ففيها كتب مقالات نقدية حول « الناقد كفنان » The Critic as artist وقصته : « صورة دوريان فرأى » The Picture of Dorian Gray (1890) ؛ و « مروحة السيدة ونديمو » Lady Windermere's Fan و تراجيديا فى فصل واحد « سالومي » Salomé (1892) ؛ و « امرأة لا قيمة لها » A Woman of No Importance (1893) ؛ ومقطوعته الشعرية الغنائية الطويلة « أبو الهول » The Sphinx (1894) ؛ و « زوج مثالى » An Ideal Husband ؛ وقصة روائعه الفنية « أهمية الجدية » The Importance of Being Earnest (1895) •

وفى سنة 1895 حوكم بالسجن والاشغال الشاقة لمدة سنتين بتهمة الشذوذ الجنسى • وفى هذه المرحلة كتب مذكرات رائعة قال فى بعضها : « حينما نأسف على تجربة نحد من تطورنا ، وحينما ننكر تجربة نكذب ، وفى كلتا الحالتين إنكار لذاتنا » • وكتب ايضا :

-
- (5) Raffaello Sanzio (1483 – 1520) رسام إيطالى عرف بصوره لمريم العذراء •
- (6) Edgar Dégas (1834 – 1917) رسام فرنسى عرف برسومه المختلفة للراقصات •
- (7) Camille Pissarro (1831 – 1903) رسام فرنسى عرف برسومه للريف •

« إن الحياة داخل السجن تجعل الانسان ينظر الى الناس والاشياء
كما هي فى حقيقتها . وذلك هو سر عدم وجود الرافة فى قلب
المسجون . فالانسان خارج السجن اغتر بأوهام الحياة ودأب يتعاون
معهما ويشاركها أوهامها . لكننا نحن الذين لا نتحرك ، نرى ونعلم »
ومات فى باريس سنة 1900 .

[البلبل والوردة]

كان طالبا شابا ، وعدته ابنة أستاذه أن ترقص معه اذا حضر لها ورودا
حمراء . لكن أنى له ذلك ، وحديثه خالية من مثل هذه الورود !

راى البلبل حيرته فتعلم فى عشه فى شجرة السنديان وسرح نظره خلال
الأوراق متعجبا بينما كان الشاب همس فى ألم وعيناه الجميلتان مملوءتان دموعا:

« يا للسعادة حينما تعتمد على أشياء كهذه ! قرأت كل ما كتبه المفكرون
وملكت أسرار الفلسفة لكن خلو حديثي من وردة حمراء أحال حياتي الى
شقاء » .

<http://Archivebeta.Sakhri.com>

سمعه البلبل فقال فى نفسه:

« أخيرا عثرت على محب حقيقي طالما سكبت الحانى الليلة بعد الليلة أغنية
دون أن أعرفه ، وقصصت حكايته على النجوم . الآن أراه ! شعره فى سواد
برعم الياقوتية وشفتاه فى حمرة الورد لكن العاطفة أحالت لون وجهه الى عاجي
شاحب ووضع الألم ختمه على حاجبه » .

وهمس الشاب :

« سيقم الأمير حفلا راقصا ليلة الغد ، وستكون حبيبتى من بين الحاضرين .
سترقص معي الى الفجر اذا أهديتها وردة حمراء ، سأحتضنها وستضع رأسها
على كتفى بينما تكون يدها مشدودة الى يدي . لكن حديثي خالية من الورود
الحمراء . سأجلس منفردا وستمر بى دون اهتمام فينفطر قلبى لذلك ألما » .

فقال البلبل :

هذا هو المحب المخلص . إنه عمل فى صدره عين ذلك الحب الذى أغنيه .
فرحتى هى لوعته . لا شك أن الحب شيء عجيب أتمن من الزمرد وأغلى من

الأحجار الكريمة ، لا يشتري بالياقوت ولا الرمان • ولا يعرض في السوق •
لا يمكن للتجار شراؤه ولا للذهب أن يرجحه ميزانا •

وقال الشاب :

« ستعزف الآلات الوترية وسترقص حبيبتي على أنغام القيثارة والكمان •
سترقص في خفة حتى لا تلمس قدماها الأرض وسيحوم رجال البلاط حولها
في ثيابهم الزاهية لكنها لن تراقصني ما دمت لا أملك وردة حمراء •

وارتدى على الأعشاب ودفن وجهه بين يديه وبكى • مرت به سحلية خضراء
صغيرة ورفعت ذيلها وتساءلت :

« لم يبكي ؟ »

وحامت فراشة حوله تبحث عن شعاع من الشمس وتساءلت :

« لم يبكي ؟ »

وهمست زهرة الربيع لمراقها في صوت ناعم منخفض :

« حقا ، لم يبكي ؟ »

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وسمع البلبل فأجاب :

« إنه يريد وردة حمراء •

فصاح الجميع :

« أيبكي من أجل وردة حمراء ، يا للسخافة المتناهية ! »

وضحكت السحلية الصغيرة ملء شدقيها في سخرية • لكن البلبل أدرك
سر ألم الشاب فقبع في شجرة السنديان مفكرا في سر الحب • وفجأة فتح
جناحيه الرماديين وحلق في الجو ، فحام حول الحميلة كالشبح وحط على غصن
من أغصان شجرة ورد جميلة نمت وسط الحشائش وخاطبها قائلا :

« اعطني وردة حمراء وسأغنيك أجمل أغاني •

لكن الشجرة أجابت :

« إن ورودى بيضاء • بيضاء كزبد البحر وأشد بياضا من الثلوج على
الجلبل • الشمس ذلك لدى أختي هناك حول الساعة الشمسية العتيقة •

وطار البلبل • وحط على شجرة الورد حول الساعة الشمسية العتيقة •
وسألها أن تمنحه وردة حمراء على أن يغنيها أجمل أغانيه ، فأجابته الشجرة :

« إن ورودي صفراء ، صفراء كعروس البحر الجالسة على عرش من العنبر
وأشد صفرة من الترجس البري في المروج قبل الحصاد • التمس ذلك لدى أختي
الواقعة تحت النافذة » •

وطار البلبل وحط على الشجرة • وسألها أن تمنحه وردة حمراء على أن
يغنيها أجمل أغانيه • فأجابته الشجرة :

« إن ورودي حمراء ، حمراء كساقى اليمامة وأشد حمرة من المرجان المائج
في جوف المحيط • لكن الشتاء أثلج عروقي وأمات البارد براعمي وحطمت
العاصفة أغصاني فلن أزهر في هذه السنة » •

وصاح البلبل :

« أريد وردة حمراء ، وردة حمراء واحدة ، فهل من طريقة للحصول
عليها ؟ » •

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

فقالت الشجرة :

« بلى ، لكنها طريقة مخيفة لا أجرؤ على الإجابة بها لك » •

فسألها البلبل أن تصفها مؤكداً عدم خوفه ، فقالت الشجرة :

« ستصوغ وردتك من أنغام الموسيقى تحت ضوء القمر وتصيغها بدماء
قلبك حينما تنغرز الأشواك فيه فيجری دمك في عروقي مستحيلا الى دمي » •

وهمس البلبل في نفسه :

« الحياة أثنى من أن تذهب ضحية وردة حمراء • فما أشهى أن نختبئ في
الغابة الخضراء ونرعى الشمس في مركبتها الذهبية والقمر في مركبته
الياقوتية • حلوة رائحة الزعرور البري • وفتانة تلك الجريسات المختبئة في
السفوح والخلنج المزهر على الهضبة • لكن الحب أفضل من الحياة • وما قيمة
قلب عصفور بجانب قلب إنسان ؟ » •

وفتح جناحيه الرماديين وحلق في الجو عابرا البستان كالشبح • وكالشبح
اتجه نحو الحميلة • ووجد الشاب الصغير حيثما تركه مستلقيا على الحشائش
وآثار الدمع ما زالت بادية في عينيه الجيلتين فطمأنه قائلا :

« اسعد وكن مطمئنا • سأصوغ وردتك من الموسيقى تحت ضوء القمر
واصيفها بدماء قلبي • وكل ما أطلبه منك هو أن تخلص في حبك بالفلسفة
حكيمه والسلطة قوية • لكن الحب أحكم من الفلسفة وأقوى من السلطة • الحب
في لون الشعلة ، شغواء حلوتان كالعسل ونفسه كالبخور » •

رفع الطالب رأسه وأنصت • لكنه لم يفهم حديث البلبل • إذ كان يستمد
كل معرفته من طيات الكتب • لكن السنديانة أدركت وشعرت بالآلم • لقد
كانت شديدة الوله بالبلبل الصغير الذي اتخذ بين أغصانها عشا له • سألته
أن يغنيها أغنية الوداع قبل أن يفارقها ويتركها لوحدها • غنى البلبل فكانت
نغمات صوته شبيهة بخيرير الماء المراق من جرة فضية •

نهض الشاب وأخرج من جيبه مذكرة وقلم رصاص وقال في نفسه :
« إن جسدها جميل حقا لكن أخاف خلوها من العاطفة ، أخاف أن تكون كآكثر
الفنانين ، أسلوبها بدون صدق فهي لا تضلحى بنفسها من أجل الآخرين ،
وتفكر فقط في الموسيقى • وكلنا نعلم أن أهل الفن شديدو الأثرة ... نغمات
صوتها حلوة لكن ذلك - للأسف - لا يقدم أى خير عملي » •

وانصرف الى غرفته حيث استلقى على سرير صغير من القش • وظل يفكر
في حبه حتى غلبه النعاس •

بدا القمر مضيئا في السماء ، فطار البلبل الى شجرة الورد ووضع صدره
على شوكة ، وغنى طول الليل والقمر البلورى البارد ينصت في انحناء • غنى
طول الليل والشوكة تنغرز في صدره أكثر فأكثر ودم الحياة يفارقه شيئا
فشيئا •

غنى مولد الحب في قلب الفتى والفتاة • وفى قمة شجرة الورد بدت بتلات
متتابعة تتابع الأغاني ، شاحبة كذلك الضباب المسدول على النهر ، شاحبة

كأقدام الصباح ، فضية كأجنحة الفجر • وبدا شكلها كظل ورده في مرآة
فضية أو في غدير من الماء •

وقالت الشجرة للبلبل :

« اضغط بصدرك على الشوكة ، أيها البلبل الصغير ، لنلا يباغتتنا النهار
قبل أن تكتمل الوردة » •

فغنى البلبل مولد العاطفة في روح الفتى والفتاة • وكانت الشوكة تقترب
قليلا قليلا من القلب ، الغناء يعلو فيبدو على الوردة لون بنفسجي كنتك الحمرة
التي تعلو وجه العريس ، وهو يقبل شفتي عروسه • لكن الشوكة لم تصل بعد الى
قلب الطائر ، فظل قلب الوردة في أعلى الشجرة أبيض • ودعت الشجرة الطائر
الصغير بأن يزيد اقترابا من الشوكة حتى تنقرز في القلب قبل أن يداهما
النهار • فضغط البلبل بصدرة على الشوكة وشعر بوخزة شديدة من الألم •
وكلما ازداد الألم ازدادت حدة الغناء • غنى الحب الذي اكتمل بالموت ، ذلك
الحب الذي لا يموت في القبر • واكتملت حمرة الوردة فبدت كزهرة السماء
عند الشروق ، بتلاتها حمراء ، وقلبا في حمرة الباقوة • وأخذ صوت البلبل
بضعف ، وأجنته الصغيرة تصطفق • وغمرت عينيه سعة • وأحس بشيء
يتحسرج في حلقه ، وانطلقت منه آخر نغمة موسيقية سمعها القمر فنسى
الفجر وظل تائها في السماء • وسمعتها الوردة الحمراء فارتعشت من الفرح
وتفتحت لنسمة الصباح الباردة وسمع الرعاة صداها الأرجواني يتردد في
جوف البلبل فاستيقظوا من أحلامهم ، وترنحت في قصب النهر ، فحمل
القصب وصيتها الى البحر • وصاحت الشجرة :

« انظر ! انظر ! إن الوردة قد اكتملت » • لكن أنى للبلبل أن يجيب ، وقد
استلقى ميتا على الحشائش الطويلة والشوكة منعسة في قلبه ؟ !

فتح الشباب نافذته وأطل منها على الحديقة فباغته منظر الوردة فصاح :

« آه ! إننى لمحظوظ ! عثرت على ورده حمراء لم أر قط أجمل منها • إنها
رائعة جدا • لا شك أن لها اسما طويلا في اللاتينية » •

وانحنى خارج النافذة واقتطفها • ثم وضع قبعته على رأسه وجرى بالوردة الى منزل الاستاذ •

وجد فتاته جالسة عند الباب تلف حريرا أزرق حول بكرة بينما استلقى كلبها الصغير عند قدميها • فاتجه نحوها قائلا :

« وعدتني بالرقص معي اذا أهديتك وردة حمراء • وهذه أروع ما شاهدت من الورد الحمراء • احمليها هذه الليلة حول قلبك ودعيها تقص لك عن حبي » •

ولكن الفتاة ارتعدت اشمئزا وقالت :

« أخاف أن لا تتلام مع ثوبي وقد أهداني ابن أخ أمين الصندوق جواهر حقيقية • وكلنا يعلم أن الجواهر أئمن من الورد » •

فصاح الشاب في غضب شديد ووصف فتاته بنكران الجميل ، ورمى بالوردة الى الطريق فسقطت في غدير من الماء وداستها عجلة عربة • فصاحت الفتاة :

« اذا كنت ناكرة للجميل فانت جلف ! من أنت ؟ طالب لا أكثر ! ولا أعتقد أن لحذائك أبازيم فضية مثلما يملك ابن أخ أمين الصندوق » •

وغادرت مكانها الى الداخل •

قال الشاب في نفسه : « ما أحقر الحب ! ليست له ولو نصف قيمة المنطق ، فهو لا يثبت شيئا ولا يوحى بغير الخيال بل يحاول إقناع المحب بأشياء ليست صحيحة • الحب شيء يتعارض مع صفة العملية التي تحل بها العصر • سأعود الى الفلسفة ودراسة الميتافيزيقا » •

وعاد الى غرفته ، وجلب اليه كتابا مغبرا انكب على دراسته •

منجى الردادى



- 6 -

« فصل من قصة طويلة »



<http://Archivebeta.Sakhsit.com>

،، مشكلة بلا حل .
،، حتى النهاية مشكلة . . .
،، المشكلة موجودة في عالم « الفعل » ولكن . . .

.. في كل عقل مشكلة ، في كل بيت ، في كل عصر .. رأيت الواقع نفسه مشكلة عويصة متشعبة ،، ماذا يعنى الواقع ؟ هل كل شيء يتناقض مع مقابله الى النهاية .. ما معنى الشيء المتناقض ؟ ما معنى لكل مشكلة حل الا مشكلتى . . . ما معنى الانتحار ؟

،، رأيت ذات مساء بشارع الحرية امرأة تدوسها عجلات سيارة شحن . . . تجمع المارة ، كنت أحدهم ، تساءلت عن الضحية . . . ما هى الاسباب التى دفعتها الى الانتحار ؟ وجاء الشرطى . وأقبلت سيارة الاسعاف . وتفرق الجميع إلا أنا فبقيت على الرصيف أرقب عملية تسجيل الحادث . . . كانت عملية روتينية أعمق من عملية حسابية بها كسور .. قلت فى نفسى .. حوادث المرور لا شيء يربطها ببعضها فى كل لحظة او دقيقة او شارع سوى ما فيها من رعب ،، الواقع أن صاحب السيارة ضبطه الشرطى فى حالة

سكر ، والمرأة تسير وسط الطريق ، فما هو رأى القانون فى القضية ؟ السائق
سكران ، والمرأة تعمدت الانتحار ؟!!

، المشكلة موجودة فى عالم « الفعل » ولكن ..

.....

بالأمس تعرفت على رجل ، قص على خبيته المرة • ربط مصيره بامرأة •
حرر كتب الصداق بها فى الزنانة كما يقولون ••• وانجب منها اطفالا بين
جدران السجن ••• كان كلاهما أهلا لصاحبه ••• قضيا اربعة أعوام فى
« دار الحالة » ••• وفتحت - ذات يوم - أبواب السجن ليخرجنا فى يوم
مشهود ••• الرجل استفاد من الدرس القاسى • أراد أن يتخلص من مركب
نفسانى ما انفك يسيطر عليه فى الماضى وهو جبه وتعطشه الى السرقة
والاجرام مهما كانت الظروف ، فوالده علمه منذ طفولته كيف يعيش •••
المشكلة لا تدخل عقله ،،، كان رقما قياسيا بين أقرانه ، أما اليوم فوجه
حساسيته المفرطة نحو معنى آخر ••• لكن المرأة (زوجته) التى هى من نفس
الطينة ، تعود الى محبتها الاولى ••• لقد فحصها الطبيب عدة مرات عندما
كانت نزيلة السجن ، واثبت فى بطاقتها الصحية أنها متوترة الاعصاب ،
حساسية الجنس عندها تفوق حساسية زوجها ••• وأحس الرجل بغموضها ،
فضاق صدره ••• علم أن بعض أصدقائه يجرون وراءها ••• لكنه يتذكر
أطفاله العشرة فيلاطف نفسه ويعددها بأمل كاذب •

- أتيت فى وقت مناسب •• أولادك بلا طعام •

- لماذا لم تطعمهم انت ؟

- قلبك من حجر ••• وعلى كل أين كنت ؟

- آه •• هذا السؤال يقلقنى ••• ألم يقل لك الطبيب إنى مريضة !

- لكن ! الى الأبد ؟

- أجل •

- مستحيل ! • هذه تمثيلية عجيبة ••

- أنا أنموذج لها • وعليك ان تتفرج ••• فهل أتقنت دورى ؟

- هذه مهزلة ! • مهزلة عمرى يا ناس ! •••

يمضى الرجل فى تخيلاته • وتبلغه الاقاويل من اهل الحومة ، من الجيران ، وكلها أرقام ناطقة ضد زوجته ، المرأة الحساسة ••• لكنه كان يكتفى عند سماعه لأخبارها بكلمة واحدة يقولها : « ••• لولا الاطفال !! » وذات ليلة كان بالقرب من جماعة تتحاور لاعداد برنامج سهرتهم الاسبوعية ••• فاستمع الى حديثهم ، وظل مطرقا :

- دقائق وتكون بين ايديكم •••

- من ؟

- سامية •••

- هل تلبى الطلب ؟•••

- نعم ••• تحب « الزردة » ، وتفنى على الشيبخات !

تذكرها بضيق ، التفت نحو الشبان ، واكتفى بنظرة ميتة وزعها ، ثم ضمه صمت قصير •

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

.. هل تفقد المرأة صوابها ؟

.. العشق على حساب الزوجية موضة العصر ..

.. عندما تتطور تترك الامور تجرى بصورة تلقائية ..

.. ما أشد أفلام الحياة روعة ودهشة ..

••• كل أحاديث الناس ، وتمتعاتهم فى سرهم وجهرهم ، فى خلواتهم الخاصة ، تمثل سطحية الانسان الذى يتقمص الالوان التشكيلية ••• هذه أقاصيص لا ينقصها الشكل ، ولا يعوزها المضمون ••• المهم أن تجرى الاشياء ، ولو كانت متناقضة ••• التناقض لغة الواقع ••• المهم أن تتخلص من المركبات ، مركبات القديم البالى ••• المهم أن تتطور بسرعة وكيفما اتفق ••• بأى شكل ••• بأى لون ••• حتى على حساب الزوجية ، على حساب الغموض ، على حساب العبث ••• على حساب المدنية ••• هذا هراء ••• هذه مهزلة ، بل مهازل ••• قل ما شئت ••• المهم لا تتطرف •

.. الجانب الهزلى فى علاقات البشر يغرى •

- من التطور أن تكون عاشقا .
- من التخلف أن ترتبط بـزوجة مخلصـة وفيـة .
- من المدنية أن تقلد الغير .
- من التأخر أن لا تتصور الواقع بشكل حي .
- يجب أن تكون صريحا مع نفسك ، مع زوجتك ، حتى تبحث عن عشيق ••• المثل بالمثل !•• الجانب الهزلى فى الحياة يضحك •• إنى أحب الضحك فى حياتى كلها •• الهزل حياة لا تخلو من الانفعال .

.....

- اشياء كثيرة تعكس الالوان الباهتة فى الصورة .
- واشياء أخرى تستحق البروز حتى تظهر فى لونها الحقيقى ••

« - خبر هام - »

••• اعلن مكتب الإحصائيات العالمى عن الأرقام النهائية لعدد النساء اللاتى يعشن ، وعدد الرجال الذين يرتبطون علانق غرامية على حساب الزوجية ••• العدد كان ضخما •• والنسبة المائوية بلغت % 95,5 !!!•••••

- زوجى لا يهتم بى .
- له عشيقة .
- زوجى لا يتسم لى ••
- له عشيقة .
- زوجى يغيب عنى فى الليل متعللا بكثرة أشغاله .
- له عشيقة .
- زوجى يعاملنى معاملة عتيقة ••
- له عشيقة .
- زوجى ••• زوجى ••• زوجى لا يبادلنى الحب .
- عليك بغيره •• إنه نذل ، ساقط .

.. المرأة فوق كل شيء .. وتحت كل شيء ..
.. المرأة قصة طويلة بشكلها ومحتواها ..
.. المشكلة ! .. تبقى المشكلة بلا حل ..
.. المشكلة موجودة في عالم « الفعل » ولكن ..

.....

الأقنعة ... الضباب والرفض ... الايجاب والسلب ... التلاعب ...
المقاومة ... الأقنعة بالية ... الرفض لوحة تعبيرية ... الايجاب
والسلب ... أسطورة ناطقة ..

قصة ألوانها باهتة .. في الجدار ثغرة .. في المدنية ثقب عميقة ، يا سلاك
الواحليين ، كثر الضرب بالبندير ... يا مداح يا شطاح استر روحك في
الحين ... الاقاول تتناثر في الفضاء كالاوراق ... ألوان باهتة في الواقع
مكسورة بحجب كى لا تظهر على حقيقتها ... ما أكثر المنافقين والمنافقات ،
والمارقين والمارقات ، والمعريدين والمعريبات ، والشايطيين والشاطحات ! ..
إنهم في واد يهيمون ...

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

لم أعد افرق بين الرجل والمرأة ، بين البياض والسمرة .. ألوان جديدة
كثرت في هذه الأيام ... المنافق ينعزل وحده عن الناس بحالته النفسية ،
بطيئته ..

.. يقال : الوجوه المختبئة لها ألوان عديدة ..
.. يقال : الجو السياسي متفائل ..
.. يقال : الذى ينظر وجهه فى المرأة لا يرى مساويه ..
.. المرأة ستار يحجب الأصالة ..
.. المرأة خديعة ، والحديعة رائعة عند النساء ..

.. هل اليوم كسائر الايام ... ككل الاوقات ، والساعات ؟ ..
.. هل اليوم كسائر أيام السنة ... ككل اللحظات ، والمناسبات ؟ ..
.. هل اليوم كسائر أيام الناس ... فى كل أرض ، فى كل عصر ؟ ..

،، هل اليوم كبساتر أيام الحيرة ... أيام التجربة ، أيام الفشل ؟ ...
... هذا اليوم ليس كالأيام الخوالي ، كالزمن الذي اصطدم بصخرة
الرفض ، وجدار السلب ، وحديد الانهيار ..

فى ظنى أن الايام الحاملة التى سطعت تحت الكهرياء ، وبهجرة الاضواء
المتلألئة ، كانت متخمة بالاقوال الكثيرة ، والكلمات البراقة .. كانت ككل
أيام الناس ... قضايا ومساحيق ألوان ... ونماذج ممزوجة بجفاف الحياة
ومراتها وشظفها ... فى اصفرار واحمرار ... بياض وسواد .. لوالب
فضفاضة ... كنت أسمع ألف كلمة فى اللحظة الواحدة تتناقض مع
نفسها ... حينما أريد أن أرى الأشياء على حقيقتها ، يطلب منى أن أرى
خلافها ... أن أقول ما لا أعتقد .. أن أخالف المعقول ،، كنت - إذن - لا أرى
الأشياء بقلبي .

،، يقال : إن مفعول الكلمات البراقة يفوق أقرص التخدير العصبى ..
،، يقال : إن الأشياء المفهومة تبتدى بضجة ، ثم تفتفى كلاشى .
،، يقال : إن « كان » وأخواتها مجرد عبارات بائسة ، يصورها الفن كلوحة
تجسم موقفا من المشكلة السلبية فى معظم الحالات ..

... ذهب الماضى فى خبر « كان » . وارتج الواقع فى الكلمات المعسولة ،
والوعود المقطوعة ، والاقوال المسعورة ، والجمل المعترضة المبتورة .

... استوى الماء والخشبة ... فاض « وادى زورد » حتى هلك الحرث
والنسل ...

... رجعت الى لوحة قديمة كانت معلقة فى ركن من أركان غرفتى المنطفئة
ما زالت تحتفظ بطابع « السخافات » المساعة فى حركة تموجية .. يبدو لى أن
اللوحة جذبتها تيار الوعى ، فعاشت ، وتعيش عصرها ، فى الصورة .. الماضى
كنقطة انطلاق لزمن محدود معين ؛ فالرسم يتأرجح بين المعقول والمبهم ،
والانتظار والحلم .

تأملت اللوحة ، فإذا هى جفاف حياة ، ومرارة حظ ، وكوميديا لا تأتلف مع

المالوف ... الانسان ممسوخ أمام شكله ، ضئيل أمام الطبيعة الخلاقة ...
لكن لا يستقر على حال .

... لا معجزة بعد أن تحقق حلم الانسان على القمر ...
لكن المشكلة باقية ... مشكلة الكلمات البراقة ، والوعود المقطوعة ، والجميل
المتناقضة ...

،، هل يتخلص الانسان من المشكلة ... هل يحقق معجزته فوق
الارض؟؟ ...

،، اذن فالسؤال أواجهه في هذه الحالة .. كيف يمكن أن أعيش ؟ ... هذه
معضلة حاول الفن ان يكشف عن اسرارها ، وإن بذل عنايته بتسجيل شكلها
الحاصل ،،

... منذ أيام ، وأنا بعيد عن المدينة ، أعيش في البادية ... أحداث الناس
في شؤون أحبها وأتطلع الى معرفتها ... يشتكي الى أحدهم في غضب من
الجدران الملساء ، والنوافذ المغلقة ،، وهذا آخر يريد خبزاً .. يقف متكئاً
على عصاه ، يئن أنه مكلوم في غناء ، وبردة الشتاء يجعد أعصابه ، ويبحث عن
« الكلمات البراقة » ... أين الوعود المقطوعة .. هربت ، الكلمات ، كل
الكلمات الرنانة التي أتخمت الأفواه .. هربت ، لم تعد تستطيع حتى العودة ،
مجرد العودة لتقول شيئاً ما ، ... لا ... الهروب ... الاختفاء ...
الضغطة الاخيرة ...

– لم أقل هذا ..

– بل أكثر منه ..

– المهم الآن ؟

– أن تسكت .

– ماذا صنعت ؟

– أنت تعرف .

– الناس ... الناس ... يقولون ...

- يقولون ما لا يفعلون ..
- ليسوا شعراء ..
- لا ...
- نعم ..
- أوه ! ..
- أخاف أن تبقى النوافذ مغلقة .. والشوارع خالية ..
- من الكلمات الممسولة ، والوعود المبتورة ...
- !! ...

.....

اعلان

مدير مؤسسة يبحث عن موظفة

مدير مؤسسة اقتصادية هامة يريد فتاة تعمل كسكرتيرته الخاصة ..
المرتب الشهري محترم ، والشروط المطلوبة : معرفة جيدة بالفرنسية ،
ومستوى ثقافي بسيط باللغة الانجليزية ... ساعات العمل غير محدودة ...

الرجاء الاتصال بالجريدة ، في أقرب وقت ..

.....

.. ما أذكى هذه الرائحة ... رائحة عطور تاتي من بعيد .. لم تعد
الكاتبة الانيقة تكتب أى شيء ... كانت السيجارة تحترق بين أصابع الرئيس
المدير ... فهو يبحث عن كلمة ، عن جملة ينهى بها تقريره .. قرأت الكاتبة
بعضاً كلماته ... لتكن تجارب الرئيس المدير العام فى مكتبه ! ..

... الرئيس المدير لا يريد ترقية الاعوان هذا العام ، فميزانية المؤسسة
فى خطر ... الافلاس يهددها منذ أن دفعت بمتصرفها المالى الى السجن ،
نتيجة الاموال التى استولى عليها ...

... المشكلة تغذيها بعض المخاوف ... صحراء لا نهاية لها من

الظنون ،،،،، لكن فى مكتب الرئيس المدير العام أجد الكراسى الوثيرة ،
والسفائر المبسمة ، والسيوف ، وعلب الكانت ، وسالم وفيليب موريس ...
المكتب جميل الشكل ، أنيق ، لكنه يسبح فى فراغ .

وحجرة خاصة خلف المكتب للأشياء الخاصة ... له كاتبتان نحيفتان ...
واحدة خصصها لمقابلات سعادته ،، والآخرى للعلاقات الخارجية ... له
جهازان من الهاتف ،، لا يحرك يديه للكتابة إلا قليلا .. عندما يمضى ..
يمضى على التقارير ... إنه مغرم بامضاءاته .. يرسم خطا أفقيا واحدا ...
الحق أنه يعيش فى فراغ ، لولا المقابلات التى يجريها ، وكلها شخصية ...
الرئيس المدير العام مغرم بهذا اللقب ، يرفض الامضاء على الوارد والصادر إذا
لم يكن محلى بهذه الصيغة الادارية البحتة كما يسميها ...

الرئيس المدير العام لا ينبس بكلمة ... لا يكتب كالموظفين ... لا يبتسم
إلا لكاتبته الخاصة ... لا تصدق إذا دخلت مكتبه أنه يفعل ما يشاء
بإدارته .. فكل جزئية بسيطة يستشير فيها كاتبته الخاصة .. من حقها أن
تمتنع ، فهي ليست خبيثة بأمر الإدارة ... لكنها تتسلل عندما يطلعها على
خبايا الامور بدل مساعدته ...

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

.....

يحيى محمد

دراسات في القصة التونسية المعاصرة

منهجية المذهب الطبيعي
في قصة

التوت المر

تأليف محمد العروسي المطوي

بقلم : محمد المختار جنات

أ. - الكتاب

توالى الدّار التونسية للنشر بَدْرُ إشعاعها الثّقافي في جِراة ومُثابرة خَلِيقَتَيْن بوعِيها لمحو ظلامنا الفكري . ويكاد يكون لها مع أبصارنا وأذهاننا ما في كُلِّ شهر من مواعيد يَفْلُق الفجر . ويشقّ عِمة الوحشة . وآخر ما برعته على أدواح قصتنا التونسية ثمرة يانعة فازت بجائزة بلدية تونس العاصمة للقصة عن سنة 1963 كانت من إنتاج أستاذنا محمد العروسي المطوي ... وكانت بعنوان : "التوت المر" . وهو مرّ حسبما كَيْفَته تربة المناخ التي سَمَدَتْ أحداث القصة ، وحلو حسبما أنضجته طبيعة الفنّ الادبي . وقد صدر الكتاب إلى الاسواق في موفى سنة 1967 في حجم يتراوح ما بين 19 × 12 صنتم . وهو يحتوي على : 214 صفحة محلاة بأربع صور من رسم ريشة الفنّان الشاب محمود التّونسي .

(1) صدرت قصة « التوت المر » آخر 1967 . وكُتِبَ النقد إثر صدورهما ، إلا أن نشره لم يتيسر إلا الآن .

ب - جوهر هذا النقد

لقد جرت العادة أن يسلط مجهر النقد الموضوعي في تحليل أي إنتاج أدبي من زاويتي عدستين ، تنعكس الأولى على تقييم "المضمون" ، وتسلط الثانية على كشف "التكنيك أو الشكل الفني" . وسأحاول - على قالة ما أملكه من مصادر - تطعيم هذا النقد بعدة آراء وأفكار جوهرية ، متوخيا في تقييمي لقصة "التوت المر" إثارة عدة اعتبارات تطرحها معطياتها الاجتماعية والسيكولوجية والتقنية . وإني لأنشد بنقدي هذا الوصول إلى هدفين ، يتمثل أولهما في تطبيق بعض المقاييس الفنية لمعطيات القصة الحديثة على عدة مفاهيم تراءت لي بصفة إجمالية خلال مطالعتي لقصة « التوت المر » . وينحو ثانيهما إلى تحقيق تواجدتي مع القارئ لمشاطرة الاهتمام بهذه التحفة التي نبارك انضمامها إلى المكتبة العربية .

وانني لمدرک - سلفا - أن التقييمات النقدية قد تبلغ - أحيانا - هدفها إذا كانت منصبة بشكل موضوعي على تحليل الهدف المعطى في كل إنتاج أدبي ينزع بفنيته إلى تحقيق الجدوى والاصالة . ولكن مهما تضاربت المقاييس بين الناقد والمنتج والقارئ ، فإن جدوى « المعاناة » تظل الحافز الرئيسي للالتقاء بأصالة الإنتاج وطرافته . ومن هنا يلوح عسر النقد ومشقته ، ذلك لأن التفتيش عن جدوى المعاناة يحتاج إلى الالتزام بعدة اعتبارات منها : التجرد في الحكم للمؤلف أو عليه ، والاطلاع الواسع على مختلف التجارب الأدبية ، وتسليط الضوء على أغلب ما يظهر أو يكمن في الإنتاج من معطيات

المحتوى والشكل ... هذا بالإضافة إلى أنّ النّقد الحديث أصبح
- مع تلك الوعورة - لا يهتم بتقرير « الجزم والقطع » . وإنّما
بإثارة الاهتمام والبحث والاستقصاء ...

ماذا يجب - إذن - أن نعتبر في هذا الإنتاج أو ذاك ؟

في رأي متواضع لكاتب كهنرى جيمس يجب البحث عمّا
(يبحث على الرعب المفزع ، أو ما يثير الشّفقة ، أو ما يدلّ على البراعة
والإتقان .) (1) وفي رأي « ليون أيدل » الاهتداء إلى ما يمكن
القارئ من التفكير على مستويين من الإدراك : مستوى القصة كما
نُروى ، ومستوى القوة المستتجة . (2) وهو يؤكّد على أنّ كل قارئ
فهم القصة بطريقة تختلف عن فهم الآخرين . وهو على هذا الفهم
يبنى تفسيرها لها ، ويسد - حسب إحساساته - ما قد يتركه المؤلف
فارغاً ... ويعتّب الفيلسوف « جان بول سارتر » على هذا القول بأنّ
القارئ (مهما ذهب بعيداً ، فإنّ الكاتب يكون قد ذهب إلى ما هو
أبعد منه) . ويدعّم وجهة نظره بما يقوله « ديكاوت » : من أنّ
(القارئ يتظاهر بأنّه وجد نظاماً سرّياً يربط بين أجزاء لا يبدو
عليها مطلقاً أنّ بينها علاقات مشتركة .) ويستطرد سارتر - وهذا
ما يهمّ طبيعة هذا النّقد - أنّ (القراءة : استقراء ، وتقريب ،
وابعاد .. وأساس هذه الفاعليات كامن في إرادة المؤلف ...) (3) وأذن
فإنّ نقدي هذا يجب أن يلتقي بالقارئ ليستقصي معي في قصة
« التوت المرّ » مضامين الأشياء مشفوعة حسب رأي « جويس » :
(تحتس الحياة المتدفقة في القصة لمسك الخيط الرابط بين موهبة

الادراك وممارسة المؤلف لتجربته القصصية . (4) هذا مع وجوب اعتبارنا أن الاستاذ المطوي أراد أن يعطينا من خلال مرارة توتة عاطفة معينة جرت عادة النقاد على تسميتها « باللذة الجمالية » ، وقد حاول في هذه العاطفة رسم حدود الصدق في التعبير مهما اختلف رأينا في أن القصة عسيرة ومكرية ... ذاك هو مجتمعنا في ريف الجنوب التونسي : مرارة وراءها حلاوة الطيبة ، وعسر يعطره نور الإيمان بالإنسان .

ج. - مضمون القصة

1. - هرمية الحدث

تنمو أحداث هذه القصة التي لا نريد تلخيصها ابتغاء تحريض القراء على مطالعتها ، وتشكائف حول بطلها الرئيسي « عبد الله » الذي يعمل مع « سي الحمروني » في دكانه بقربة « مأ » بالجنوب التونسي ، قانعا بعمله الذي لم يجاز عنه مدة أربع سنوات . وعبد الله شاب متزن ووالده « الحاج علي » مواطن يكدح في بستان صغير يمتلكه ويعيش فيه مع زوجته وأخيه وابنته الصغيرة فاطمة وابنه البكر عبد الله . وعلى سطح هذه القاعدة تنمو هرمية الاحداث متسمة الاتكاء على ركيزتين : إحداهما الركيزة السيكولوجية ، وقد بدأ المؤلف إنهاضها في ضحى ذات يوم ربيعي حين خرجت فاطمة بنت الحاج علي إلى بستان جاره « سي صالح » كي تقطف منه وردة . وإذا بها تفاجأ بمنظر فتاة جميلة كسيحة تحبو في البستان كما تحبو

العنز ، أو الطفل الرضيع ... تلك «عائشة» ابنة «خماس» البستان (مفتاح الطرابلسي المهاجر الليبي). لأنها تعيش مع أختها «مبروكة» في كنف هذا الوالد الارمل العجوز . وترجع فاطمة إلى أهلها مأخوذة بما رأت ، وتروي لهم مأساة الفتاة الجميلة ، فيتأثر عبد الله ويفكر فيها وهو بلاعب أصدقاءه «خمس» تريسيتي «في مقهى القرية ، ثم وهو يؤوب إلى منزله فتتشر قدماءه وتجفل لعشرته عنز ضالة في الظلام الدامس ... ويأرق ، وينام فتعذب الاحلام برصيد ما انطبع في مخيلته عن هذه الكسيحة . وتستبد صورته بلبه فيسمى إلى رؤيتها ، ويملك المؤلف زمام الانعطافات الباطنية التي تعرج بسكولوجية الحدث الرئيسي في القصة **الاهو العطف**؛ ويكون قد كشف «مسبقاً» عن ركيزة الحدث الثاني ويسبق بها فوق قاعدة ما ترويه عائشة لاختها من حديث سمعته من فاطمة عن «الشكرووي» ، وتكون هذه الركيزة السيسولوجية مستقرة بعمق على سطح «مفارقات» واهية يكون عبد الله مصدر السخرية فيها . ويستغلها المؤلف ليحوّل رجوعها الانعكاسي نحو تيار تندلع فيه وجهة النظر وتنفلق إلى شرارات ديناميكية تحرق على مستوى «العمل الجماعي» وفي بطولة عاصفة خطرا اجتماعيا يهدّد - رغم ما يظنر به من حصانة حكومية - عزائم الشباب ، ومقومات مصالح السلامة النفسية والجسدية لافراد المجتمع .

ويعيننا هنا في هذا النقد أن نفحص على مستوى تشييد هرمية الحدث القصصي أسس الركيزتين الرئيسيتين : (السيسولوجية ،

والسيكولوجية) وما كتّل المؤلف لهما من عمّد ، وحبّال ، ولّينات
اقتضتها فنية القصة ، ووحدت بين وظائفها في عملية بناء القصة وفق
منهجية المذهب الطبيعي .

2. — منهجية المذهب الطبيعي

بما أنّ الحياة ليست جميلة كما أظهر ذلك « داروين » وغيره
فالتعبير عنها أيضا ليس جميلا . إنّ الجمال فيما يتعلّق بالتعبير الفني
يتمثّل بخصائص الاسلوب والتركيب الشكلي من جهة السهولة
والزخرف ، أمّا فيما يتصل بتعبير المضمون الادبي فالجمال يتمثّل
في تصوير عالم يتأرجح بين الاصلية والزيّف ، وبين الجميل والشائه ..
وفي رأي القصاص « جزار لاند » (أنّ الاسلوب التعاشي والمسلّك المذهبي
والخلفي حجبا الواقع المؤلم لما نراه حقيقة . لذا فعلى أصالة
الاديب تقع مسؤولية كشف الوجه الخامد — وعلى الاغلب — البشع للعالم
الطبيعي .) (5) وأضيف لهذا الرأي أنّ أصالة الكاتب لا تمكن في
اثارة الحقائق الطبيعية للمذهب الطبيعي بقدر ما تكمن في محاولته
الكشف عن الصراع بين المعتقدات والآمال والمخاوف التي تبدو كما
صرّح بذلك « وليم فركنر » في الحفل الذي أقيم له بمناسبة تسلمه
جائزة « نوبل » : (إنّها القوة الدافعة للسلوك الإنساني ، أو لمعالجة
مشاكل القلب في صراعه الذاتي .) (6) وفي تأملنا لمرارة « التوت
المرّ » نتلمّس أصالة الخواطر التي جعلت من القصة في نهجها للمذهب
الطبيعي موضوعا ابداعيا يستحقّ معاناه العذاب والارق والتمزّق ؛

فالكاتب لم ينتحل منهجية المذهب الطبيعي إلا بعد أن أدرك بغريزة الرجل المناضل أهمية تصوير حياتنا في تلك الفترة . واتخاذها وسيلة للسيطرة على الفاعليات الاجتماعية ؛ فعال إلى إبراز موضوعي : (الحب ، ومكافحة المخدرات) على وجه حقيقي لم يتخذ من مساحيق تقنية الفن أيّ زيف يجعل به من وحشة الكُساح أو الإدمان . وماذا نفعل إذا كانت الحياة قد قست على أفراد مجتمعنا . وانتهزت فرصة انحلاله فشوت بدنه وذهنه وعقله ؟ ألا نلجأ إلى أعماقنا لنستحث قواها الخيرة ؟ ألا نفزع إلى فطرتنا الطيبة فنحب فتاة كسيحة ، ونشهر صداقتنا كسلاح لندافع به عن مصالحنا الاجتماعية ؟ ... لقد كان عصرنا في تلك الفترة القائمة عصراً لجيل ضائع متعثر وسط حطام قضيته الضائعة ... وكان علينا أن نحارب بحسبنا عن الحرية من جهة ، وأن نعيد النظر في القيم القديمة من جهة أخرى . وهكذا اتخذنا في « الثوت المر » من مقاومة التكروري نهجاً إلى نفع الصالح العام يقود إلى مقاومة المستعمر ، واتخذنا في « الثوت المر » من الحب نهجاً للقاء الروح يقود إلى التغاضي عن تشويه الجسد من أجل عناق الفطرة الإنسانية التي جبلتنا الطبيعة عليها !

3. — معطيات الجوّ الذهني

جاء في المقدمة التي كتبها الفيلسوف سارتر لمجلته « الأزمنة الحديثة » عندما أصدرها في عام 1945 قوله : إنّه (ما دام الكاتب لا يملك وسيلة للهرب من الواقع ، فلنأنا نريد أن يعانق عصره

بشكل وثيق ، فهو فرصته الوحيدة . إذ لا مناص له من التخلص
 من المأزق بمهارة حتى ولو أصبح مَنْ حوله بُكْمًا جامدين ؛
 فإنَّ سبيله لذواتهم هو عمله الهادف) ذلك (لأنَّ كلَّ عاطفة يكشف
 عنها تتخذ شكلًا من أشكال حياته النَّفسية ، وتكشف عن وضعه
 الاجتماعي .) والإنسان ... (لا يوجد كما توجد الشجرة أو الحصوة .
 لذلك عليه أن يصنع من نفسه « عاملاً » يقرّر بملء حرّيته على الرغم
 من أنَّه مشروط بكتليته – أي بعواطفه وأفكاره – منح مستقبل لمجتمعه
 حافلاً بالفتح والنصر ، أو بالذلّ والمهانة حسبما يختار هو بنفسه
 إن فضل الاستسلام أو الثّورة .) (7) ولقد انتهز كاتب « الثّوت المر »
 فرصته ، وعانق مشاكل عصره ، وكشف بعاطفته عن مرارة
 الوضع الاجتماعي ، وقرّر بملء حرّيته أن يكون
 ثوريًا . وقد أودع من ذات نفسه هذه الثّورة في حنايا بطل
 قصته « عبد الله » إذ جعله يعي الصّعوبات المريعة التي تواجهها بها
 الحياة ، ووجّهه ليكون من المدرّكين لحوافز الاصطدام بها بعد أن
 كشف لنا أن بعضاً ممّن يعيشونه تقبّل هذه الصّعوبات المريعة
 وكأنّها شيء محتوم . وكان على عبد الله أن يلائم في مصارعة لهذه
 الصّعوبات بين (الهدف الأكبر للإنسان) و (معنى الحياة) ليحقّق في
 مجتمعه أهدافاً متعدّدة للحياة اليومية . (8) وفعلًا فقد هبّت القرية
 مذهولة مرتين . وقد قلب عبد الله في المرّة الأولى مظهرها الاجتماعي
 حين قطع منها بمعية جماعته آفة التكروري ، وثانيها حين عصّف
 بقاعدتها البيولوجية وقرّر الزواج من كسيحة . وقد تأثّر السكّان
 في المرّتين للنتيجة وارتاحوا لها بعد أن أدركوا كما يقول الفيلسوف

« شيللر » (أن) معيار الفائدة هو الذي يختار التقويمات الفردية للحق ويولد منها الحق الموضوعي الذي يحظى بإقرار المجتمع له ... فالحق هو المفيد والمثمر وإذا انتحل عكسه افتضح أمره عاجلاً أو آجلاً ورُفض . (9) وإلا فهل يمكن أن يكون شيء مرغوباً فيه من جهة المجتمع (تأمل فرح القربة حين قُطع منها التكروري . (10) وغير مرغوب فيه من جهة فرد ما (كالحناشي مثلاً) ؟ كلا ... إن مصالح الفرد لن تنفصل عن مصلحة المجتمع ... وذلك أنبل معطيات الجوّ الذهني الذي طرحته وجهة النظر في هرمية بناء « التوت المر »

4. - وجهة النظر

ما دمنا قد أدركنا الآن أن الجوّ الذهني (يصبح إحدى الصور التي يتأتى بها للمنظر العام ولادة النتيجة في انسجام خفي يتمطّط في اتجاه الموضوع . (11) فإننا نلجّ على أن الموضوع أو الفكرة المطروحة لا يجب أن تكون جزءاً منفصلاً عن العمل الكامل في القصة . وقد لمسنا في « التوت المر » فكرة مقاومة التكروري ولاحظنا انسياقها مع اتجاه حوادث القصة وتصرفات أشخاصها إلى درجة أنها هزّت بعنف وشائج الحب ولواعجه . (مناشدة عائشة لعبد الله أن يأتيها بالتكروري . (12) وحقّ لنا أن نثير الآن وجهة النظر من خلال فحص قضيتين :

أولاهما : قضية زواج عبد الله من الكسيحة . وفيها نلمس حرص المؤلف ومحافظته على سلامة وجهة نظر الأم في موقفها من هذا الزواج غير المتكافئ . وقد جعله موقفاً رهيباً وحاداً وصارماً . وذلك ما تقتضيه عواطف الأمومة في مجتمعنا عندما يتهدّد الضّرر

أمانيتها في أطفالها وأحلامها في نشدان حياة سعيدة لهم . وبما أن المؤلف كان يقدر - أيضا - أن الإباء أقل حدة في التأثير بثقل الفجيرة التي تلحق بأمانى الإبناء - ما دامت لا تهدد سلامة أوضاعهم الاجتماعية - فقد التزم في تحديد وجهة نظر الأب الاتزان في تقدير موقفه من زواج ابنه وقبوله كقضاء لا مفر منه ، والإذعان لمعاشرة الكسيحة تحت سقف بيته بدون تعليل لما يكمن وراء هذا الزواج من حبٍّ موعغل في الرومانطيقية . غير أنني أرى - شخصيا - أن المؤلف يمكن أن يكون قد وُفق حين رغب - عن عمد بدون شك - في طمس وجهة نظر عائشة إزاء منة الزواج التي غمرها بها عبد الله ليوفر للقوة المستتجة أداء دورها في إمتاع القارئ بما يتخيله من مشاعر فياضة عارمة هزت وجدان هذه الكسيحة المحظوظة .. بيد أنني أرى في طمس لوجهة نظر مبروكة من زواج أختها فاقدًا لأي تبرير ، خاصة أن المؤلف وضعنا من أول سطر في القصة وجهًا لوجه أمام شخصية مبروكة ، فنقلنا عن طريق المتولوف إلى أبسط الارتسامات التي انعكست في مخيلتها عن تصرفات الحمار وحديث الموت والفسم ! (13) إن حدث الزواج بكسيحة وإقبال شاب من صفوة القرية عليه لا تغفله مخيلة طافحة بأوجاع التضحية والصبر كمخيلة مبروكة ... إن هذا الحدث هامٌ بالنسبة إليها لاعتبارين :

أولهما : إحساسها بأنها أجدر من أختها بالزواج نظرا لسلامتها البدنية وتقدمها في السن .

ثانيهما : كنهها لحدث زواج أختها المفاجيء ، وقد كان - على مستوى تفكيرها فيه - عقدة يابسة في قبضة الحظ السيء ؛ فكيف بها وقد حلها من كانت تعتبره شابًا فاسداً ؟ (14) .

إنّ إناحة التعبير عن وجهة نظر مبروكة في انفجار مشكلة هذا الزواج العاصف كانت ستضاعف من متعة القارئ ، ما دامت ستضعه أمام كَشَفِ نفسي يتمتّع انفصام الشخصية ، فبواسطة الوصف والسرد تلوح له مظاهر فرح مبروكة وتواجدها الانفعالي ، وعن طريق المنولوج يتمكن من التوغّل في سبّر أعماقها ليدرك حقيقة تلك المشاعر المندلعة وما يستتر وراءها من حزن خفي وألم رقيق ... وكنا نودّ لوّ واكب هذا التحليل النفسي تيار ينساب تدريجياً ليعكس وجهة نظر فاطمة في سعادة صديقتها ، وبذلك ترقى معلوماتنا عن حقيقة هذه الصداقة حين تنهج مع أحداث القصة إلى الالتواء الحادّ الذي انتهى بأخيها إلى الوقوع - كما تراه الام - في حبائل الجنون باقدامه على الزواج من (حورية المعيز والنعاج !).

ثانيتهما - قضية مكافحة المخدر : وفيها حرص المؤلف على استثمار وجهة النظر وفق ما حدّده « هنري جيمس » لهذه الطريقة (التي نكشف بها حقائق القصة القائمة على إنارة المواقف والشخصية القصصية عن طريق عقل احدى الشخصيات أو عقول عدّة شخصيات .) (15) فنحن عندما ندخل عقل احدى شخصيات « التوت المر » فإنّه من الجلي أنّنا لا نحصل إلاّ على نظرة باطنية ، أي على وجهة نظر هذا العقل فقط . ومنذ اللحظة التي نلج فيها عقل إبراهيم - مثلاً - فإننا نلتزم فيها بوجهة نظره . وينتج عن هذا أنّه كلما أتاح لنا المؤلف إدراك هذه الشخصية بعمق أشدّ كان انفعالنا بها أمتع وأعنف . ولم يفست الكاتب - في هذا الصدد - أن يرسم لوعي شخصياته حدودا يقفون

عندها . فشخصية ذات ذكاء محدود كسي حميدة (التاجر المفلس) نجدها تقبع في خنوع ، وهي تفتت التكروري أمام مجموعة من شباب نائر يخطط لمعركة القضاء على هذه الآفة أجراً الخطط . على أن هناك - وهذا محمود جداً - مجالاً لتحويل وجهة نظر بعض شخصيات لها كفاءات - كمختار - إلى مدى أبعد وأعمق وبعبارة أوضح فإن شخصيات الشباب في « التوت المر » التزمت حدودها . غير أن الكاتب سعى إلى تعميق وجهة نظر ابراهيم على حساب تفجير الرمز في اقتناص التجربة الزائلة . وسأبسط هذه اللزمة الفنية الرائعة في التعقيب على فحص تكنيك القصة .

5. - قضية التخدير بين قصتين

« التوت المر » و « ثرثرة فوق النيل »

<http://Archivebeta.Saknit.com>

إنني أهدف من وراء عقد مقارنة بين « التوت المر » للأستاذ المطوي ، و « ثرثرة فوق النيل » للأستاذ نجيب محفوظ إلى الكشف عن كيفية معالجة قضية التخدير من زاويتين متناقضتين . وبذلك أتبع للقاريء وضع اصبعه على أهمية الجدوى في محاولة الكاتبين .

أولاً - ثرثرة فوق النيل : يصور لنا الأستاذ نجيب محفوظ صفوة من شباب المجتمع المصري يجمع بينهم تدخين الحشيش (نوع من المخدر) كل مساء في عوامة مشدودة إلى شاطئ النيل . ومن خلال انسياب الدبالوف نلمس درجة انحلال هذا الشباب ، ووجهة نظر أفرادهم في قضية الإدمان . وذلك حين عمد الكاتب إلى تصنيف موقفهم أمام

« سناء الرشيدي » الطالبة بكلية الآداب . ثم « أمام الصحفية » سمارة بهجت ...

١ - .. وبدأت سناء قلقة ، ونظرت نحو « البارقان » متسائلة :

— ألا تخافون البوليس ؟

فقال عليّ السيّد ؟

— لأننا لا نخاف البوليس والجيش والانفيليز والامريكان

والظواهر والباطن ، فقد انتهى بنا الامر إلى ألا نخاف

شيئاً .

وقال لها رجب باسم :

— لا تقلقي يا نور العين ، فالدولة منهمكة في البناء ولديها

ما يشغلها عن إزعاجنا .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

١١ - (.. وقبىء سمارة التي تحاول خفية دراستهم من خلال

السطل .) فتساءل باهتمام حقيقي :

— ألا يهمكم حقاً شيء مما يدور حولكم ؟ !

فقال مصطفى راشد :

— قد ينفعنا أحياناً كمادة لضحكنا !

ابتسمت ابتسامة غير مصدقة . وأضاف :

— لعلك تقولين لنفسك : إنهم مصريون ، إنهم عرب ،

إنهم بشر . ثم إنهم مثقفون فلا يمكن أن يكون هناك حدّ

لهمومهم . الحق أننا لا مصريون ، ولا عرب ، ولا بشر ..

نحن لا ننتمي لشيء إلا لهذه العوامة .

(.. ويمضي الحوار الساخر إلى أن) يقول عليّ السيّد :
 - لا تصدّقني كلام مصطفى حريفيا . لسنا أنانيين بالدرجة
 التي صوّرها . ولكننا نرى أنّ السفينة تسير بدون حاجة
 إلى رأينا أو معاونتنا ، وأنّ التفكير بعد ذلك لن يجدي
 شيئا ، وربما جرّ وراءه الكدر وضغط الدم . (16) .

ثانيا - الثّوت المرّ : يروي الاستاذ المطوي أنّ العادة
 جرت على تعاطي التكروري في حفلات العرس ، وهو يصوّر بعضا من
 شباب القرية يتداولون « السبي » في عرس صديقهم ابراهيم ، وقد
 عيقت رائحة التكروري في جوّ الغرفة . (17) وينحو في عبثية مركّزة
 إلى استغلال حادثة التخدير بعبد الله وإيقاعه في حلبة تدخين
 التكروري ، وينسج منها خطّ قصّته العريض ، ويمتلك ناصية التجربة
 - التي هي أقلّ مستوى من معالجة الادمان - ويصرفها نحو الإيجابية
 التي سلك نجيب محفوظ طريقها المعاكس ... واذا بعبد الله بطل
 « الثّوت المرّ » يصبح أمام رفاقه ماثرا لسخرية بريئة ، ومصدرا
 لبهلوانية وجبّين وتدهور . واغتنم المؤلف ما يشاع شعبيا عن التكروري ،
 وأطعم بطله طينا أحمر منقوعا بعد أن أطعمه من قبل لحمنا نيشا ،
 حتّى إذا سقط بطله فريسة الانهيار والتقرّز عمد إلى ايقاظ ضميره عن
 طريق تسقط مخيلته لما حدث لضحايا الادمان من معارفه ، وتأمّله
 سوء حال « أحمد الحناشي » . والتأثّر بلوعة الشيخ الذي دخل عليه
 الدكان وهو يقول معقبا على مظهر الحناشي الكريه :

- .. هل المسؤول عن ذلك غير أنفسنا ؟ !

ثمّ يستطرد هذا الشيخ ليمحو في جوّ لاذع ما سبق أن قاله هو بنفسه من أنّ «التكروري» يباع في الاسواق بإذن الحكومة :

— .. لم يجبرنا الحاكم على تعاطي هذه الحشيشة الملعونة ... لم يجعلها ضريبة .. لم يفرضها ... إنها النفس الامارة ، يا ولدي . (18) .
وإذا بأعماق البطل تستيقظ ، وإذا هو يصرخ في وجه مختار الذي يعتذر له عن التّغريب به :

— .. إنّي غير مرتاح إلى هذه الهوة التي أشرفتم عليها .. ساخط على تعاطي هذه الحشيشة الملعونة ..

ولم يهدأ .. بل أضاف في ثورة وسخط :

— القضية ليست قضية مختار وعبد الله .. إنها أبعد وأعمق .. إنّ غضبي يتناول القضية من أساسها : لماذا نسير إلى الهاوية ؟ ! شبابنا يندفع مطواعا إلى هذا المخدر ! مساكين أولئك الذين يدعون أنّنا مقبلون على الثورة .. هل نقبل عليها بالشباب الارعن ؟ هل نقابل القوى الغاشمة بالعقول المخولة والصدور المنخورة ! ؟

— ولكن الامر يحتاج إلى رويّة . (19) .

ويلجأ البطل إلى الهدوء تحت هذه الإشارة الصّادرة من محمود.. إنها الإشارة التي يقرع بها الثّوار أبواب التجربة حين يقرّرون الإقدام على قلب الاوضاع .. ولكنّ محمودا يغيب ، وعائشة تغمد في كبده خنجر المطالبة بالتكروري . ولم يعد هناك من مفرع إلا الى البريّة التي كان الانبياء يستلهمون فيها تخطيط حملات الهداية .. حتّى إذا

خيّم سكون اللّيلة المباركة على الواحة وُلد الزعيم والتفّ حوله
أعضاده ..

— إنّه اجرام بأنفسنا ومجتمعنا إذا تمادينا على هذا الاغضاء
والانحلال .

— أيّة حكومة ؟ : فرنسا تمنع التكروري في بلادها . لكنه
هنا مباح !

— هل نحن مستعدّون ؟ وماذا وراء ذلك ؟ السجن ... أشياء
أخرى ..

— هذا عمل مشترك اجماعي .. يفسرونه بالتآمر ..

— لماذا كل هذا التعقيد ؟ إنّه مجرد اقتراح . من منا على
استعداد لمقاطعة هذه الحشيشة وتحريمها على نفسه ؟

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

— أنا معجب بفكرة عبد الله .. أنا على رأيه .. أعاهدكم بأنني
لن أذوقها أبدا .. سوف أعمل على مقاومتها بكلّ ما أستطيع .

— أرايتم !.. من هنا بداية الخطر .. (20)

ومن هنا جمعت الثّورة شبّانها .. وإذا بمختار يؤمن ، وبمحمود
يخطّط ، وبإبراهيم ينتزع القيادة من عبد الله على ضوء شمعة يكشف
مختار بنورها وثيقة بطولته ، وعلى اندلاع حريق في دكان أبيه
كشف بلهيه عن راية النّصر المذهل المعقودة بيمينه .

ثالثا - مفارقات الادمان : هنا نقف وجها لوجه أمام
صفتين من الشباب في موقف متشابه متحد . أولاهما نخبة مثقّفة

منحلة مائعة تدرك الخطر وتقبل على الاكتواء بناره في سلبية تدعو إلى الرثاء . وثانيتهما صفوة من الشباب الاممي الوثاب تدرك الخطورة الكامنة وراء مقاومة هذا الخطر المباح ، وتندفع في ايجابية مفعمة بالبطولة إلى محوه في عزيمة وجراءة واستبسال . عُدُّرُ سلبية الطائفة الاولى : « أن السفينة تجري بدون حاجة إلى رأيهم ومعاونتهم » . وذريعة ايجابية الطائفة الثانية : « أنهم مقبلون على الثورة فهل يجابهونها بعقول مخبولة وصدور نخرة ؟ .. تسير النخبة الاولى إلى إدمان التخدير في غفلة من الدولة المنهمكة في البناء ، وتسعى الصفوة الثانية إلى مقاومة تدخين التكروري وقلع زرعه تحت ترصد قوة المستعمر لحركاتهم .

في مجال عقد هذه المقارنة تترك للفلسفة قيادة مداركنا لتقويم سُبُل هذين النهجين الجماليتين . ولا شك أن الفلسفة ستطرح علينا بدورها السؤال التالي : متى تكون المشكلة حافلة بالمعنى إذا بدت لنا متحدة القيمة وذات وجهين متناقضين أحدهما سلبي ، وثانيهما ايجابي ؟ إن « البراهمانية » التي تتخذ الذريعة وسيلة لتقرير الحقائق ترى (أن) التمييز بين جدوى رأيين متشابهين لا يخضع إلى رد الفعل النفسي بقدر ما يخضع لمراقبة الوقائع لاستخلاص النتائج منها . (21) .

وكانت وقائع الإيجابية في « التوت المر » حافلة بالنتائج المذهلة . وكانت وقائع السلبية في « ثرثرة على النيل » حافلة برد الفعل النفسي فقط .

6. - رومانطقية الحب

يقرر « ليون ايدل » (بأنّ البطل الرومانطيقى بدأ بالتأمل في شؤون قلبه ، وانتهى به الامر إلى التأمل في شؤون عقله . وهنا اكتشف أنّ القلب - الذي هو مركز الإحساس والشعور - والعقل - الذي هو رمز الفكر والإدراك - يمكن أن يربطاً وربطاً وثيقاً ، فالعقل في كثير من الاحيان يحاول أن يفسّر ما يحسّ به القلب .) (22) وهذا هو النهج الذي خطّه المؤلف لتطوّر عاطفة عبد الله وانتهاجها نهج الحب الاسمى .. اسمعه يصيح في وجه أمّه ، وهو يلفظ هذا التبرير المنطقي المثقل بحكمة العقل الراجح : « يجب أن تفهمي أنني لا أريد سوى إنقاذ تلك المسكينة وإسعادها .. كل البنات سيجدن أزواجه . أما هي فلن تجد سوى . » (23) ولم يكن هذا التبرير المنطقي خالياً من أوار العاطفة أو مستتراً خلفها ، فعبد الله صرّح لأمّه قبل ورود هذه الجملة بقليل قائلاً : « إن قلبي لم يهتزّ لغيرها من البنات » . (24) فهو الحبّ الحقيقي إذن ، وعاطفته هي التي أسلست قيادة رغبته ليلبورها عقله . وقد أدرك والده بالضبط ديناميكية هذه الرغبة وآخذه بها رغم أنّ عبد الله لجّ في التنكّر لها وضلل والده عنها قائلاً : « عقلي هو الذي قادني » . (25) وحقاً فإنّ عقله هو الذي قاده إلى إعلان رغبته في حماس بعد أن نفّضت العاطفة يديها من متاعب القيادة . واطمأنّت إلى رِقّة وخضوعه الاعمى ؛ فبذرة الشفقة كانت قوّة وخصبة ، وقد تخلّت العاطفة عن قِطْف ثمرتها للعقل حتّى يلمس الوعي الخارجي - المتمثل في أفراد المجتمع - روعة هذه الثمرة الناضجة ! ثمّ ألم تنزع عاطفة عبد الله إلى استمرار الشفقة مكان

الحب؟.. (ولم تطل به النشوة ، وخيَّمت عليه سحابة حزن أليم ..
لقد تذكَّر عايتها .. ودعا لها بالصبر وقوَّة الإيمان ..) و (مضت
شهور دون أن تزول من مخيلته صورة عائشة .) وكان (يشعر نحوها
بشديد الإشفاق وكثير من العطف .. وما درى أنَّ العاطفة والإشفاق
سينقلبان حبًّا صارخا .) (26) وماذا كان مبعث هذا الحبِّ الصارخ ؟ وما
مدى الدَّور الذي لعبته العاطفة كي ينضج وتذكو رائحته ؟ ألم
تعبق في براحمه رائحة الرَّحمة وحبِّ السَّعادة للإنسان ؟ ألم تنضوِّع
تلك الرائحة – من قبل – في أدواح العقيدة الرومانطيقية حين أعلن
« جان جاك روسو » عن شذاها المنبثق (من فطرة الخير في الإنسان)
والاكتفاء بها مرشداً وهادياً للإنسان في سلوكه ؟ لقد روى روسو
في الاعترافات أنَّه (قرَّر أن يهمل أحكام الآخرين ، وأن يفعل ما
يبدو له هو خيراً) تماماً كما فعل عبد الله بآراء أمِّه ، وما روته عن
إمكانية انفجار آراء الآخرين في موقفه من الزَّواج « بحدة البعير » ..
ثم يمضي روسو ليقرِّر (بأنَّ هذا القرار ربَّما يكون أعظم قرار خطر
لإنسان أو على الأقلَّ أعظم القرارات نفعا للفضيلة .) وأيَّة فضيلة أسمى
من هذه الفضيلة التي أقدم عليها عبد الله بصونه مستقبل فتاة كسيحة
فقيرة الحال وبتيمة ؟ وهكذا يحتلَّ القانون الأخلاقي الفطري – من
نفس عبد الله ويصدر عنها – مكان القانون الخارجي ، ويسود التوافق
في عالم لا فائدة للمرء فيه إلاَّ ما تميله عليه طبيعته الخيرة . (27) .

7. – سيكولوجية الانعطاف الباطني

كلَّما كثر احتشاد المادَّة الباطنية الذَّاتية في القصة كلَّما زاد
اهتمام القارئ بها . وابتداء من الظفر بأوَّل لقطة يرسم فيها المؤلف

خالجة الذات الإنسانية تنشط مخيلة القارئ ويرسب في وصيدها ما يتجمع من انسياب دوائرها المتناسلة .. بَيِّدَ أَنْ إدراكها لانطلاق أول خالجة يظلّ مفتّحاً في الزمن الآلي الذي استوعبته الخالجة قبل أن يتاح المجال لتنميتها في نطاق الزمن النفسي ، ويكون المؤلف - خلال تنمية ما ينجم عن الخالجة - قد سلك بتعاريج الخواطر ودوائرها المناسبة نهج الانعطاف الباطني ليعيّن للعواطف والافكار تخطي آلية الزمن. (28) ويعيننا في هذا الصدد أن نفحص حبّ عبد الله ونخضعه لمعطيات بسكولوجية الانعطاف الباطني .

لقد سمع عبد الله بعاهة عاتية (فتأثر تأثراً بالغاً ، وعلت سحنات وجهه سحابة من الوجوم والكابة .) وعاد من المقهى فذكرته العنز الضالّة بالطفلة الغريبة ، وصحا من رؤياه وهو يحسّ - (لاول مرة - برغبة شديدة وشوق عازم إلى رؤية هذه البنت .) وذكرته في صباح اليوم الموالي ملامح الشيخ مفتاح بصورة الابنة الرائعة التي رآها في المنام ، فتساءل في توجّس : (إذا صحّ أنّها على تلك الصورة فهي مصيبة .) ثمّ سعى إلى رؤيتها في اليوم الذي ظفر فيه بالراحة ، وإذا به يقف مأخوذاً بجمالها الرائع .. (وكاد يجهر بالتكبير والإعجاب لولا أنّه ضبط أعصابه وكبح جماح عواطفه .) وشعرت به فأزاحت شعرها الفاحم وكشفت عن وجهها الصبوح ، (ونظرت إليه بطرف كاسر فأحسّ بهم يصيب سويداءه .) ، (وفي الطريق كان شارد اللبّ ، ساهم النظرات ، مضطرب البال .) وتذكّر كلمة « المحاميد » فأخذ يترنّم بها ، ويحسّ لها وقع السحر على نفسه .. (ولم تطل به النشوة ، فما لبث أن خيمت عليه سحابة حزن أليم ،

وشمله ضجر بالغ وحسرة مريرة .) لقد تذكر عاهتها ، (وحزن
لسوء حظها المنكود ، ودعا لها - مخلصا - بالصبر وقوة الإيمان
حتى تتحمل مصيبتها بثبات المؤمن وصبره ..) (29) .

ولكن الحب ليس في حاجة إلى استدرار هذه الدعوات الصالحات .
إنّ الحب يطلب من هذا « الجلمود » - كما يدعو أصحابه - الكثير
من البذل الرفيع ، لا على صعيد عاطفة الإشفاق المحض أو الرحمة
أو حبّ السعادة للإنسان ورجاء الخير للآخرين ، بل على صعيد أرفع
وأحقّ وأوضح .. صعيد الاكتواء بالغرام الصارخ والهيام العنيف .

أرأيت إلى أي مدى سينحول الانعطاف الباطني بخالجة التأثير
لعاهة عائشة التي روتها له أخته ؟ لقد أخذ المؤلف ينحو بهذا
الانعطاف في عُسْر وكرب وقشامة نحو ضياء مشرق من فهم الاحاسيس
المضطربة في جهة واحدة . أي في جهة ما يعتمد في قلب عبد الله
فحسب .. إذ أنّ المؤلف ظلّ يعتمد في ترقية أحداث قصته على
رقبي مخيلة القارئ ، فمحا ما قد بجيش بعواطف عائشة من أحاسيس ،
وجعلها لا تشعر بحبّ عبد الله ، إذ لم يصارحها به ، ولم تهتد هي إليه
لبُعدها عن عبد الله واحتجابها عنه . غير أنّ الانعطاف الباطني الذي
سلك به المؤلف تكاثف الاحاسيس وتوالدها من جهة واحدة ،
أي من جهة ما يعتمد بين جوانح عبد الله - محّا الزمن الآلي لنمو
الخوالج وأتاح لها التأطر في الزمن النفسي . وبذلك انسدت على
تصاعد اللواعج الغرامية غلالة من الضبابية لم يستطع المؤلف
قشعها بكلمة (مضت شهور ..) وإذا بنا لا ندرك في زحمة التكيف

النفسي الاطوار الزمنية التي يستوعبها عمر الحب عادة ؟ فعبد الله حين سمع بعامة عائشة وسعى إلى رؤيتها كانت هي طفلة مسكينة لا يدري (كيف سيكون احساسها عندما تبلغ سن النضج .) (30) . ترى أصبحت سريعا صالحة للحب حين سعى عبد الله إلى رؤيتها ؟ إن التمهيد لإشعارنا بتنمية الحب لا تكفي فيه كلمة : (مضت شهور .) (31) ولذلك نقرر أن الانعطاف الباطني لخوالج عبد الله الغرامية لم يتح لها الزمن النفسي اكتساب النمو من الزمن الآلي . ذلك لأن هواجس عبد الله كان يتحكم فيها حدث رئيسي واضح وهو مكافحة التكروري التي ابتدأت من عرس إبراهيم ، وهي الفترة التي سبق أن رأى فيها عبد الله بقليل كسيحته . وهبمن الحدث الرئيسي على خوالج عبد الله ، ولم تدم سيطرته إلا أياما أو شهورا لا تدخل في عديد السنوات ، وإذا به يتزوج كسيحته وقد غدت زوجة ناضجة تنجب ابنا جميلا . ولعلنا في مقام التفتيش عن تبرير لهفوة محور الزمن الآلي نعثر على عذر يتمثل في اندياح الزمن النفسي . وهنا نضطر إلى متابعة التكثيف السيكولوجي وصرف العناية إلى ترسم ما يعانيه عبد الله من تمزق خلال أرقه وخلوه إلى هواجس النفس ، وهو أمر لازب يتطلبه واقع الحال الذي يجب أن يساير الظروف الخارجية .. فعبد الله يسعى إلى هدف عويص يقتضي منه التضحية باللذة المباشرة العاجلة (التي قد يتحصل عليها حين يتزوج فاطمة بنت الحاج بشير) في سبيل إحرازه لذة آجلة أو لذة من نوع غير مباشر (وذلك في اعجاب الناس بمدى نبيله في إقدامه على الزواج بكسيحة .) وعلى هذا الاساس صرّف المؤلف كل جهده ليتيح لنا فرصة إدراك مبدأ سيكولوجي يتمثل في

قول الدكتور « إيكورن » : (إنّ المرأ قد يتحمّل الالم وهو يخضع لمبدأ تحقيق اللذة الغير المباشرة .) (32) ولهذا أيضا أخذ المؤلف ينحو بسيكولوجية الانعطاف الباطني إلى تهيئة ذلك الموقف الرهيب الذي وقفه عبد الله من أمّه .. لقد تمرّد عليها ليؤكد ذاته ، ويفرضها ضدّها وضدّ جميع السّلطات التي تصدر رغباته ، وبذلك يصبح عصيانه مصدر نوع جديد من اللذة القويّة التي تشبه كلّ الشّبه اللذة التي قد يحصل عليها من إشباع غرائزه .. ومنشأ هذا التمرّد أصابه المؤلف في بؤرته . فقد أكد « فرويد » أنّه (ينتج في جوّ من المحبّة والتّديّل ، وأكثر ما يوجد في بيوت الطبقة الوسطى .) (33) وإذن فعبد الله مهما تشبّعت بعواطفه الانعطافات الباطنيّة ، وهزّت بنيانه النفسي أو العقلي، فهو كائن من جنس معيّن شديد الشعور بالانتماء إلى المثاليّة . وقد أتاح له المؤلف فرصة تحويل عاطفته من مجرى الشّفقة إلى تبار التمسك بالحبّ الموضوعي .

8. — مفارقات الشّفقة بين كسيحتين : (عائشة ، وأديث)

في قصتي .

« التوت المرّ » ، و « عاصفة على الجنّة »

يهتمنا خلال سعيّنا لاستعراض تبار الانعطافات الباطنية التي طوّرت بها المؤلف عواطف عبد الله الغرامية أن نرود قصّة كتبها الاديب النموي « ستيفان زفلايج » وفيها صورّ مفارقات الشّفقة من زاوية تعاكس تماما النهج الذي سلكه كاتبنا التونسي . فبطل « زفلايج » أناثي

وجبان وضيق الصدر بعطفه على « أديث » الفتاة الكسيحة (ابنة المليونير « الهر » كسقالقا) ، في حين أن بطل الاستاذ المطوي مثال للتضحية والشجاعة وسخاء العواطف ونبل الاحاسيس . وقد أقبل على الزواج من « عائشة » رغم كساحها وفقر والدها المدقع .

ولعل من المفيد إعطاء أولاً فكرة عن قصة « عاصفة على الجنة » كي يتمكن القاريء من مشاطرتي الإعجاب بما رسمته لنا قصة « التوت المر » من انسانية تعمّر قلوب مواطني بلدنا الطيب ، وترفعهم - عن حق - فوق مستوى الآدمية أحياناً ، فيرمقهم الإنسان الاوروبي بذهول مفرط يدعو إلى إثارة الدهشة . وتلك نقطة الفراق بين مثل السماء وواقعية الارض ، بين عرق الجباه وصديد الآلة الصماء !

1 - عاصفة على الجنة : في عمر الزهور تخرج الكابيتين « هو فمبلر » من المدرسة الحربية « بفينا » ليلتحق بسلاح الفرسان في حامية تقع على حدود « هنتاريا » . وقد خرج ذات يوم من الشكنة يعميس في بذلته العسكرية الفاخرة لبلاعب صاحبه الصيدي شوطاً شطرنج في محلّ بائع الحلوى . وفجأة اقتحمت المحل غادة ارستقراطية المظهر ، ملائكية الجمال ، فنهض الصيدي احتراماً ، وانحنى صاحب المحلّ ، وفغر صاحبنا فمه دهشة إعجاباً .. تلك هي الآنسة « إيلونا » ابنة أخت « الهر » كسقالقا .. ويسعى الصيدي لدى المليونير كي يدعو صاحبنا إلى حضور إحدى حفلاته الليلية الصاخبة .. وفي جوّ مترع بالشمبانيا والاطعمة الفاخرة يفتح كبير الخدم باب قاعة الرقص ، وتنهّد الانغام الحاملة ، ويندفع بطلنا إلى مراقبة

« ايلونا » ثمّ إلى مخاصرة ضيفات المليونير المائسات في عطور
الشباب والانوثة الناعمة . ويكون (من الغباء) نسيان ابنة صاحب
القصر الفخم . ولم يفكر صاحبنا أنّ هناك ما هو أغبى من نسيان الاخذ
بهذا الشرف .. ويتهور ، ويبحث عن الدرّة المصونة ، حتّى إذا عثر
عليها انحنى أمامها بقامته الرشيقة . وطلب منها التكرمّ بقبول مراقصته .
(ويبدو أنّ الدعوة كانت مفاجأة لها لأنّها بهتت ونظرت إلىّ في
دهشة وعجب ، وانفجرت شفتاها كأنّها تهّم بالكلام ، ولكنها
لم تأت بأية حركة توحى بأنّها ستنهض لمراقصتي ..) ألم يفهم ؟
ثم : (حدث أمر مخيف : دفعت الفتاة رأسها إلى الورااء فجأة كأنّها
لتنقبي صفة توشك أن تهوى على وجهها ، وصعد الدم إلى وجنتيها ،
وانطبقت شفتاها بعنف ، وحدّجته بنظرة ذعر واهلح . ثمّ مرّت بجسدها
رعدة شديدة ، ومدّت يدها فزلزلت ما على المائدة ، وسقط من
مقعدها شيء لعله من الخشب أو المعدن ، وأحدث ضجة استرعت
الانتباه .) و (استمرت الفتاة ممسكة بحافة المائدة ، وجسمها يرتجف
بشدة ، ثمّ انفجرت تثن وتبكي .) (34) .

ولم تكن تلك أوّل لذعة عذاب يسلّطها على كُساها .. فقد
توالى اللذعات ، وتدفقت تحت مسح الشفقة الكاذبة . ولا يعنينا
هنا سرد تفاصيل القصة ما دام بوسع القاريء الرجوع إليها للاطلاع
على أحداثها الاليمة . وإنّما يعنينا صرّف جهدنا إلى عقد مقارنة بين
مشاعر الشفقة ومعطياتها ومفارقاتها الساخرة بالنسبة لبطلتي القصتين :
عبد الله ، وهو فميلر .

١١ - ما بين عبد الله وهو فمیلر : حين سمع عبد الله بعاهة عائشة تأثر وانتابه الغم .. وحين فزع هو فمیلر إلى « ایلونا » لیستوضحها حقيقة ما غمض من تصرفات أدیث ، وأنباته فی جفاء بأنها لا تستطيع مراقبته لأنها كسیحة (شعر بجفاف فی حلقه ، وخجل إلیه أن كل شيء یدور حوله .) (35) وعبد الله حين توقع أن لعائشة جمالا باهرا سعی بمیة أخته لیراها . وهو فمیلر حين أغرق ذهنه فی تربة الظلام الصالحة لنمو أعجب التصورات فکّر فی إزالة ما سبّب لادیث من إحراج نفسی ساخط ، فأهدى لها باقة ورد ، وسعی - بعد أن استلم منها علی الاثر دعوة رقیقة - إلى تناول الشای معها .

كيف وجد عبد الله عائشة ؟ (منظر جمیل ملك علیه أحاسیسه وعواطفه .. عائشة تمشط شعرها وترجحه .) و (أشعة الشمس المتسرّبة من خلال الأوراق تشكّل دوائر صغيرة علی الأرض علی شعرها وكامل بدنها كأنما نثرت فی المكان كمية من الدنانیر أو « المحبوب » .) وبسم أحس عبد الله إزاء هذه اللوحة السّاحرة ؟ (كاد یجهر بالتكبير والإعجاب لولا أنه ضبط أعصابه وكبح جماح عواطفه .) ولما فرقت شعرها (ورمت به علی كتفها بان وجهها الصبوح المشرق فی إطار من الشعر الاسود الفاحم . ونظرت إلیه بطرف كاسر فأحسّ بسهم یصیب سوبدائه ، ولم یتحمل نظرات هذه العیون الدّعجاء الحالمة ، فأطرق إلى الأرض .) (36) تلك لحظة اللقاء مع الحبّ الذی قد ثرّ بدیّ مأس الشفقة واستتر وراء غلاتها الناضجة ..

أما هو فمیلر فبعد أن توالى زیاراته رأى أن (ادیث فتاة ناعمة

موروّدة الوجنتين .) ورأى ذات مساء أنّ (لها لمحات عجيبة من براءة
 الطفولة . ونضارة الانوثة .. وقد سقطت أشعة الشمس على بشرتها الرقيقة
 فكشفت عن أدقّ الشرايين في جبينها ووجهها وتحت عينيها .) (37) لكن
 بم أحسنّ نحوها ؟ أبالحبّ المستر وراء دِماس الشفقة ؟ أم بالشفقة
 المجرّدة ؟ (هذا الشعور بالشفقة والعطف كان شيئا جديدا بالنسبة
 إليّ : شيئا مثيرا ومقلقا في وقت واحد .. شيئا حذرني غريزتي من قبوله
 والاستسلام له .) (38) وشعر (لاوّل مرّة بأنّ العطف الصادق ليس شيئا
 يمكن منحه ومنعه ببساطة .) إذن .. فهو لم يكنّ لها الحبّ ، ولم يهره
 جمالها إلّا في أوثقّات الشعور بالحرمان (التي تحتّمه حياتنا العسكريّة
 الخشنة التي تفرض علينا الفضيلة وضبط النفس ، وتحرمّ علينا صُحبة
 الفتيات ، وتجعل التحدّث إليهنّ حلما صعب التحقيق .) (39) ولكنه
 ميسور على كلّ حال .. أما بالنسبة لحياة عبد الله فهو مستحيل التحقيق ..
 فالقرية لا تنجول بها أيّة امرأة سافرة سوى « دادة مسعودة » الزنجيّة
 الطاعنة في السنّ والسيّئة من بلد السودان . (40) إذن لم يكن الحرمان
 الدافع الرئيسيّ لِيسرّ شفقة عبد الله ، كما لم يكن هو أيضا السبب
 في عُسْر شفقة هو فيملر ؟ فهناك عرامل الفطرة التي جُبِلت عليها
 نفسيّة الشّابين ، وقد أوّقت كليهما في مفارقات آسيّة واغتمام أليم ؛
 فقد ظلّ عبد الله (يشعر نحوها بشديد من الإشفاق وكثير من العطف ،
 وكان حزنه ينمو كلّما تذكّر عايتها .) و (حاول الاقتناع بأنّ
 تلك العاطفة كانت مَحْضُ اشفاق مبعثها الرحمة وحبّ السعادة للانسان .)
 و (كان يخوض مع نفسه في جوّ أحاسيسه وعواطفه .) وظلّت تهيمن
 عليه (صورة المأساة والمرارة ..) حتّى إذا سعى إلى رؤيتها ثانية وصعّقه

أن تطلب منه التكروري لتخفف به من وطأة واقعها المشؤوم ، تشجع
(وتقدم منها ، وأمسك بمعصمها اللدن الناعم وقال لها بصوت متقطع :
أنا الذي سوف ينقذك ، سأعمل المستحيل حتى أحقق لك السعادة . (41)
أما هو فمبلر فقد وضعته الشفقة أمام حتمية البذل والتضحية فأخذ
يتساءل : (أصبح أنني أملك القدرة على إسعاد الآخرين ؟) وإن كان
لا يشك في أنه كفيل بأن يحقق لادبث السعادة المرجوة ، وأنه فكر
بأن غيره قد ينتهز الفرصة فيسفح ماء وجهه ليقتنص في مقابلها ملايين
الوالد المستعد للتضحية بها في سبيل سعادة ابنته الوحيدة . لكن لو
كانت أدبث فقيرة كعائشة أكان على استعداد لبضحي بشابه في سبيل
إسعادها ؟ كلا ، وبالأسف .. لأنه يخاف مما لا يخاف منه عبد الله .
وهاهو زفايج يضع بطله في نفس الموقف الذي خطه الاستاذ المطوي
لبطله .. فلماذا لم يستطع أن يجتهد هو ، فلنحية هي .. ولتستحق هذه
الشفقة ، ولتضحك وتلدعك وتزال عنها الأزدواجية المألحة ..

وقالت له ذات مساء : قل لي بصراحة : (لماذا تأتي لزيارتنا ؟
ألترقه عن الطفلة المسكينة ، وتؤنس وحشتها ؟) وثارت ثائرة « أدبث » ،
واستفزت أعصابه ، وحاولت رمي نفسها من البرج الشاهق الذي حملوها
إليه كي تستمتع من فوق سطحه بمناظر المروج ودفاء الشمس ، فخف
إلى إنقاذها ، وسقطت بين رجله كومة من الغضب والخجل وهي
تلهث صارخة : (اذهب أيها الوحش .. اذهب ..) (42) فهل ذهب ؟
لقد جرحها ، والرقعة تحتم عليه أن يوالي إغداق شفقه الكاذبة عليها .. وأخير
استقدمته إلى فراشها ، وتوسلت إليه أن يصفح عن « طفلة الشقية » ،
فاستسلم لها ، وترك يده بين راحتيها فارتاحت لدفتها ، ومالت

نحوه' بصدرها . وأغمدت (بغثة) شفتيها في فمه ، وامتنصت منه قبله' ظامئة ملتهبة ، وهي تلهث قائلة : (أيها الغبي .) .. وإذن فهو أمام الحب وجها لوجه .. فكيف استقبله ؟ (غادرتُ القصر مترنحا .) وقد (هاله أن تضعه الشفقة في هذا المأزق الغريب .) (43) فرّ هاربا .. وقرّر الاستقالة من الجيش .. ونبذ زيارتها ، فألهب بجفائه راحتها ، وراسلته معذرة ، ومُتوسّلة ، ولكنه أهمل الردّ عليها . واسودّت الدنيا في عينيها فرفضت تجربة علاج جديد ضدّ الشلل . ولم يعد بوسع طبييها ووالدها إلاّ استدراار رحمة هذا الجلمود ..

تري ، أكان عبد الله على هذا التحجر العاطفي ؟ لقد أسماه أصحابه « جلمودا » وهم لمواطنه ظالمون .. إنه يسيل رقةً وانسانيةً .. إن حبه لعائشة ضُرب من التضحية النادرة لا يوجد بها إلاّ ذوو النفوس الكبيرة ممن صهرهم الحرمان في جفاف جنوبنا التونسي الرحيم . لم يكن قولنا هذا نعرة أو تعصبا ، فلنّ ما نضعه الآن على المشرحة ليبرّر صدق التجربة عند كاتبين حاولا بصراحة وفنّ سيكولوجية رسم صورة تجريدية لابعاد نفسيّتين قادتهما الشفقة إلى حلبة التجلّي الانساني .. وليس لإبراز التنافر ما بين صدق الفطرة وأصالتها والتصنّع الاخلاقي وزيفه إلاّ الكشف أخيرا عما أحدثته المقارقة بين الشفتين من نتائج سببت لبطلنا (عبد الله) ما يستحقّه من هناء مفرح وجزاء أوفى ، وكافأت بطلنا الثاني (هو فميلر) بما يجب أن يلقاه من نكد سيء وضيق بالحياة وكره لها .. فما الداعي تري إلى بكتورة النتيجةين ؟ : إن

كلمة واحدة هي المفتاح الذي قاد السعادة لعبد الله ، ونقيضها هي التي أحدثت لهوفميلر المزيد من الشقاء ؛ وإنّ الكلمتين لتمثلان سرّ الروعة في القصتين :

الشجاعة ، والجبن ...

الشجاعة : حين أعلنها عبد الله مدويّة في وجه أمّه : (خبري أهل القرية .. أنا لا أخشى أحدا .. لن أخاف (44) وأصرّ على الزواج من (حورية المعيز والتعاج) .. وتزوّجها . فجاءته البشري على لسان أخته ، لقد (انطلقت رجلاها بعد الولادة .. زال عنها الشلل بعد أن وضعت الطفل ..) (45)

الجبن : وكان قد اندلع حين روّض هوفميلر نفسه على تحمل عبء هذا الحبّ لمدة أيام .. وذهب لاديت فاستقبله كبير الخدم بقديسيّة ، ورمقته «إيلونا» بعطف وحنان ، ورحّب به الاب وهو يشيح بوجهه ليخفي دمعين ، واستقبلته هي وكانت باسمه الثغر ترتدي ثوبا من الحرير الأزرق زادها فتنة وبراءة ، وأحاطت بمقعدها سلال متعدّدة مملوءة بالورود الجميلة . وهتفت به : (أخيرا .. تعال ، واجلس هنا بجانبني ..) وناجته برقة ، وغرّدت بين كؤوس الشمبانيا : (يجب أن أشفي لك ..) ودسّت له خاتم الخطوبة في أصبعه ، فشعر : (كما لو كنت آله .. لآله خلق امرأة يفيض وجهها بشرا وهناء .. وخلق سعادة وأودعها قلوبا لم تعرف قبلي غير الشقاء والقلق .. نعم كنت لآله في ذلك المساء ، ولكن لم أنظر من عل إلى ما خلقت ، بل جلست

مع سائر المخلوقات أسعد بما أسعدهم به ، وأنعم بما ينعمون (46) ولم يكن لآله " كما تصوّر .. إذ أنّ عيين .. أربعة .. ستة .. تعلّقت جميعا بشفتيه حين رآته يقف أمام مقهى القرية .. كانوا رفاقه في الفرقة ، وكانوا يترقبونه ليستوضحوا منه حقيقة ما يذيعه الصيدلي .. وفتح فمه ، وكفر قائلا : (كلام فارغ !) فهدأت ثورتهم وقرروا الانتقام من الصيدلي .. وقفز الاول ، وغمز الثاني ، وصفر الثالث ، وصاح الاخير ساخرا في شموخ وعجرفة وكبرياء :

— ومن هي تلك المخلوقة التي يزعم الصيدلي اللعين أنك خطبتها ؟ !
أليست هي تلك الفتاة الكسيحة التي بدفعونها أمامهم على مقعد ذي عجلات ! ؟ (47)

نعم تلك الفتاة الكسيحة .. تلك الضحية .. تلك هي التي قضى عليها هو فمبلر بجيبه ، وحك مأساتها بكلمتين باردتين : (كلام فارغ !)

9 - مرآة التصوير الفني

يجدر بنا أن نلقي في خاتمة فحص مضمون قصّة التوت المرّ نظرة عجلّى على صفحة المرأة التي اقتنص بها كاتبنا المشاهد التصويرية ، كي نفتش بين مناظرها عن طرشات الريشة الفنيّة ..

ا. — الطبيعة : لم يُبدِ المؤلف اهتماما كبيرا بتصوير الطبيعة في الرّيف ، رغم ما يوصف به الاستاذ المطوي من رقة وشاعريّة فيأضة تتناغم — وفق ميول الشعراء — مع كلّ ما هو مثير وجميل في جوّ

ريفي صاف ورائق . وقد أغفل تصوير الطبيعة كلياً في الفصول الأولى من قصته ، وجاد على الفصول الأخيرة بشذرات رقيقة من اللقطات السريعة استمدت أصباغها في صفاء من تناسق الألوان الكونية : (فالضوء الهادي يغمر الكون قبل بزوغ الشمس ، ونسمات الصباح تبعث في البدن النشاط والخفة ، وتدب الحركة في الحوش فتخرج نعجة من الزريبة ، ويسرح الدجاج بحثاً عن قوته؛ وتحوم بمامة حول البئر؛ وتركس فوق الدلو طلباً لحسوة ماء) (48) ويسقط الضحى غفلاً من قلم المؤلف ولا تنبه ريشته لتصوير الزوال ، بيد أنه لم يغفل تصوير الاصيل حيث (تمدد ظلال الجدران إلى المشرق ذراعين أو أكثر ، ويهب نسيم شرقي رطب ندي يحمل رائحة الضريع ونكهة البحر .) (49) وعلى قصر هذا المشهد يسقط الغروب (وتمضي آثار الشفق بالآفاق الغربية . ويغيب لهيب الجمر العظمى ، ويطنى الدخان ، وتسود الدنيا وتختفي معالم المشاهدة .) (50) ويحيى الليل ، والليل مثير لغنائية المؤلف ، ولاشارة ارتساماته الميثولوجية عنه : (بنات نعش .. القطب الشمالي .. الثريا لم تظهر .. كم الساعة الآن ؟ .. المجرة لم تقسم السماء نصفين .. طريق الثبانة .. لماذا لم تحرق حرارة الشمس ذلك الثبن القريب منها في السماء ؟ لماذا لا تتجمع النجوم كتلة واحدة ؟ ألا تكون في قوة الشمس أو القمر على الأقل ؟) (51) ترى ألم تنسرب هذه الارتسامات الساذجة إلى أساطيرنا القومية ؟ ألم تحتر فيها عقولنا ونحن صغار نرمق صفحة السماء ، ونصغي في ظلام الليل الربيعي إلى خرافات الجدة ؟ إن ظلام الليل في هذه الواحة يستأثر برقعة قلم مؤلف « التوت المر » . وها هو يصف (برودة ليالي الربيع عندما يكون الجو

صحوا : فالسماء صافية ، والنجوم لماعة لالاءة .. والثريا تبدو كعقد من الماس أو تاج مرصع على شعر فاحم السواد . (52) و(يتخضخض الماء المتدفق من حلقوم العين لينصب في قاع الحوض ، ثم يندفع بقوة صاعدا إلى أعلى فوارا مبيضا كأنه ممزوج بالحليب أو مخلوط بالثلج .. زبد الماء الفوار هو البصيص الوحيد من الضوء يبدو باهتا ضعيفا وسط الليل المظلم ، وشرشرة الماء تكون مع أصوات الصراصير ما يشبه انسجاما موسيقيا رائعا في هذا السكون المخيم على الواحة ..) وتضاف إلى هذه الموسيقى (أصوات البوم ونقيق الضفادع) فتزيدها روعة ومهابة ، ويترقرق الظلام (فتبدو النجوم من خلال أغصان الخروب أو سعف النخيل .) ثم يرتفع (من بعيد صوت المؤذن لصلاة العشاء ..) (53)

تلك هي فتنة الطبيعة في الريف ، وهي ليست بمنأى عن ريشة أدينا ، وكنا نودّ لو أشبع وجداننا بشذى فتنتها الساحرة .

١١. — الحياة الاجتماعية : أما في تصوير الحياة الاجتماعية فكانت حدة قلم المؤلف تبرز من أصباغ الصّدق قتامة البؤس المُمرّد بقناعة العيش ، وتحركُ الإبطال في صرامة لا تخلو من الحساسية المفرطة أحيانا ، وتُظهر من قساوة العيش شريطا لحياة بسيطة ساذجة . ومن أوّل مقطع في القصة ندهمنا رائحة الفقر والبؤس حين ننفذ إلى كوخ « مفتاح الطرابلسي » ونرى ملامح الفاقة ونتعرف عليها في المصطبة والرحى والجلد والحجارة التي تقوم مقام وسادة الاب ، ثم ندركها بحرقه في أرجل ابنتي مفتاح (وقد تشققت من برودة الارض ، حتى إذا شمعت الاصابع بشيء من الدفء التهب حرارة كأنها لسع الجمر .) (54) ومع

ذلك (فمبروكة حريصة على كنس الساحة بعذق عرجون قديم) كما هو الحال في الاسر الفقيرة بجنوبنا التونسي (وفي جمع الكناسة في بقية قفّة مهترئة ، ورميها قريبا من مربوط الحمار) علّه يتسلّى بالتفتيش فيها عمّا يشغل مشغريه ! ثمّ تنهك في ترتيب الكوخ وتنظيّمه ، وفي طبّخ الكأس المفضّلة من الشاي لوالدها ، وفي (طحن الشعير وهي تترنّم باهازيج بدويّة عذبة على نغمات « العرضاوي » فيكون غناؤها مع صوت الرحي مزيجاً من الموسيقى يبدو في غاية اللطف والانسجام). (55) ولم تغفل مبروكة دمغ هذا التقييم العائلي بمرارة تعشّش عادة في صدور البؤساء ، فهي تدرك أنّ سيّ صالح (بحسب أمثالنا من المعذّبين في الارض خدما له يسومهم سوء العذاب بما يكلفهم من عمل شاق ليتمنّ عليهم بأبّخس الاجور). (56) واثق لعائش في « التوت المرّة » على تقييم اجتماعي يوضّح الفارق الطبقي بين أمرئ مفتاح والحاج علي ، كما تعكس القصة أيضا صورا خاطفة لعائلة العائب وأحمد الساسي . وتبدو مظاهر الحياة في القرية جليّة يميّز القاريء - مع عبد الله - انطلاقها من قعقة الدكو على حجارة البشر حيث يستيقظ الشيخ ليتوضأ لصلاة الصّبح ، (57) وفي جمعية المفتاح (الذي يحرص القرويون على جعله غليظا ثقيلا .) وهو يُدّار (في اتجاه اليمين مرّة أولى ثم مرّة ثانية محدثا قرقة مزعجة حادة .) وفي (شجيرات الحرمل المتدلية من السقف وهي مملوءة ذبابا .) (58) حتى اذا خيم الليل (انطلقا بصيص النور الذي يحتفظ به صاحب المقهى بعد أن يخرج الزبائن ليكنس على

ضوئه وبهيتي ماعون الصباح . (59) ونكتمل اللوحة التي تصوّر الحياة الاجتماعية في هذا الرّيف الهاديء بلقطات سريعة لا تكاد تحسّ أحياناً برغم حدّتها وطرافتها : فالناس يبدأون تعارفهم وفق « كليشه » بسيط ورتيب .. (- اسمك ؟ - عبد الله . - الناس الكل عباد الله . - اسمي : مفتاح .) والإمام يرتّل خطبته المكرورة ، و« دادة مسعودة » تطوف بمنازل القرية ودكاكينها لتنشر الاخبار اليومية ، « وأمّ العزّ » تؤلّف الازجال لتخلّد بها الاحداث التي تهزّ القرية . وإنّ هذه الاحداث لتتخذ أحياناً طابع الرمزية الساذجة ، فهم يروون مثلاً - عندما اجتثّت جماعة عبد الله نبات التكروري - أنّ إحداهن رأت في المنام (مجموعة من عصافير الجنة حوّمت فوق القرية ، وجاست خلال الديار حاملة في مناقيرها أغصان الرّياحين والياسمين .) (60) وتُعطي هذه الساذجة دورها في التواجد الذي يربط بين سكان القرية ويوحّدهم في تضامن متين، فهم ينجدون بعضهم ولو كان المتضرّر مكروها من طرفهم . (61) وقد حاول المؤلف بالاضافة إلى إبراز هذا التأثير الأمين للمجتمع القروي نشرَ انطباعات عن كفاح الشعب اللّبيي كما يرويّه المهاجر مفتاح الطرابلسي . (62) على أنّ ما أفاض في هذه الحياة القروية الحيويّة الدافقة كان مُثلاً في تصوير جلسات الإخوان وهم يحتفلون بعرس ابراهيم .. وقد أفلح المؤلف في رسم جلسات تدخين التكروري وتفتيته وخلطه بالسّوفي من طرف «سي حميدة» الذي يراقبه «خميس المصفار» في اهتمام وتلذّذ . (63) وشاء أن يكسوّ تصويره للحياة الاجتماعية طابع التّقدير النقدي فوصف

بحدة ما يحدث بدكان* أحمد العائب من شرب للشاي وتدخين
للتكروري واغتيال للناس . (64) .

١١١. - الشخصية : طي هذا الإطار الذي يكتنف واقع الحياة
الاجتماعية تلوح ملامح لبعض الشخصيات جهّد المؤلف لتكثيفها
وأسقط تسليط الضوء على ملامح معظمها . فإلى جانب تدفق الحياة في
كيان شخصية « مبروكة » تنساب الاحداث لتتحوّل ما قد تكون
للقارئ عنها ، وتتوارى صورة ربّة الأسرة التي تساعد أباها في شؤون
البيتان ، وتُشرف على تربية أختها عائشة ، وتقوم بكلّ ما يتعسّر
عليها فعله .. تتوارى بعد أن ملأت المقاطع الاولى من القصة بحيويتها
ونشاطها وخواطرها اللاذعة . وإن القارئ يلمس وطأة هذا التّواري
ويتحسّن ثقله على خفة انسياب الاحداث وتماسكها .. وإلى جانب
هذا الانحناء يظفر الشيخ مفتاح من المؤلف بلقطات تبرز وقاره
واقترانه ، وترسم ما يبدو على (سحنات وجهه من ملامح جمال أصيل :
بشرة بيضاء يمازجها احمرار قرمزي ، وعينان واسعتان عسلتان ،
وجبين مجعّد يوحى بقصة طويلة في مقارعة الزمان ومصارعة
الاحداث .) (65) ولا يعزّب عنا أن المؤلف عمد إلى افتتاح قصته
بتسليط الضوء عليه ، وهو (بتلمّظ بقية كأس الشاي بعد أن رشف آخر
حسوة فيه ، ثم زوى ما بين حاجبيه الاشبيين فتجمعت كتلة من تجاعيد
جبينه بالنّصف من جبهته .) ومضى فيما تعاقب من الاحداث ينمّي ما
يجيش بماضي هذه الشخصية ، ويكشف أعماقها المألحة . ولئن كانت
لكلّ شخصية صورتان متمازجتان : احدهما تحدّد - خارجيا -

ملامح الجسم ، وثانيتها ترسم - داخليا - خلجات الذات ومقومات الشخصية الخلقية فاننا نلمس في « التوت المر » تفضيل المؤلف التقاط الصورة الداخلية كلما حاول إنارة ما يكمن وراء تصرفات أبطاله . وإن الابتسامة لتغمر شفئك حين تتلوق الانطباعات الساذجة التي ترسم لك شخصية الحمروني .. إنه يرقى عبد الله ببخور « الاشفاع » ، ويصالحه « بجبهة » ، ويصبح في وجهه إذا راجت بضاعة منافسه ! وقد نالت أم عبد الله حظها من تكثيف الانطباعات الداخلية ، وإذا بنا نلمس فيها ذاتية الام الحنون التي تترقب ابنها إلى وقت متأخر من الليل ، وتفتش له في حيرة عن دواء إذا أصابه مرض ، وترقيه من أعين الحساد ، وتطبخ له أشهى الاطعمة ، وترصد له الجمعيات لتزوجه باحلاهن فتنه وأرقهن أخلاقا ، وتثور في وجهه إذا خيب أمانيها فيه ، غير أن ما يثيرنا في عموم أشخاص « التوت المر » هو طغيان الانطباعات التي صور بها المؤلف الجانب الداخلي لشخصية ابراهيم ، فهذا التأثير نال في الصفحات الاخيرة (66) من القصة لمسات جانبية غير مركزة رسمت من خلال انتمائه لجمعية « إنقاذ الشباب » وإقدامه على حرق دكان أبيه صورا لبطولة بركانية تفسحنا بطغيانها من داخل التصرفات الذاتية ، ولا تعكس لنا من الخارج إلا صورة خامدة لفلاح بسيط وساذج . وما عدا هذه اللقطات الخلفية فإن بقية أشخاص القصة ظلت مجرد أسماء مهزوزة ترك المؤلف إنارتها للحدث القصصي الذي كثيرا ما يباغتها ويحبل غموضها على فترات متباعدة إلى ضياء وامض سريع الانطفاء .

IV - التفاليد : استوفت « التوت المر » حفظها في ترَّسُم
 سيمات التفاليد والعادات لطبقة من المجتمع التونسي ، وأصبحت
 تعتبر بحق وثيقة تسجّل للتاريخ جانباً من حياة شعبنا الطيّب . وانك
 لواقع على أنواع من الاغذية التي يغلب وجودها في جنوبنا : كالكسكي
 بالعصيان ، والمحمّص بالقديد والوزف (تبعث أبنزاه برائحة ذكيّة
 فواحة) ، والملثوث بالرأس ، ومشرّد من كسكي زُيّن باللحم والبيض
 والزّيب كان نصيب عبد الله من مأدبة خالته . (67) ويتلو هذه الاطعمة
 الشهية الشاي الذي يدمن القرويون شربه خلال العمل وفي أوقات
 الراحة وفي الأعراس وفي جلسات تدخين التكروري . وقد (جرت
 العادة أن تكون الكأس الاولى مركّزة ثقيلة تغلب فيها مرارة الشاي
 على حلاوة السكر .) (68) وحين يجفّ الحلق يتناول « المسطولون »
 معجون السفرجل والحلوة الشامية . . والتكروري يفتّت على لوحة
 بواسطة بُشقي ثم يخلط بالسوفي ، ويدخن بواسطة السبسي ، وذلك
 (بجذب نفّس طويل منه يُخترن في الصدر ، ثم يُخرج من المنخرين
 دخاناً أقوى وأغزر من بخار غلاتي الشاي حين يشتدّ غليانه ، وقهل
 أن يعاد السبسي بوضع الميسم في الفم ، ويلتفت المدخن شمالاً وينفخ
 فيه بقوة فتندفع بقية التكروري جُميرة ملتهبة تقع على الارض سرعان
 ما تتلاشى إلى نقطة من رماد ، ثم ينفخ فيه ثانية ويعيده إلى صاحبه .) (69)

وفي جنوبنا التونسي يكثر الذباب (فنتلّي الوجه بالزيت لثلا
 يقع عليه .) ونرجع انتكاس الصحة إلى حرارة الاصابة بعين الحسود ،
 خاصّة إذا تحدّثت عن المصاب (عجوز شمطاء لها عين أحد من منجل

الحصاد وأنفذ من ناب العفريت .) وعندها لا ينجو عزيزنا إلا إذا
 بخرناه بالوشق والدّاد أو ببخور «الاشفّاع» (الذي يحرق قلوباً ،
 الحصاد ويزكم أنوفهم .) وكلّ من عضّه كلب (كانت تعطى له -
 أيام الاستعمار - تذكرة سفر مجاناً ذهاباً وإياباً إلى تونس ،
 وقد لا يصدّق النّاس هذه الاصابة ويعتقدونها حيلة استعملها المريض
 ويغبطونه على سفره المجانية .) أمّا من يسقط من علوّ شاهق (فإنه
 يكمد بالرماد الساخن وبالملح وبالرمل .) أمّا إذا أصيب المريض
 بالحُمّى فليس له من دواء ناجع غير (تسخين الماء ، وتغليّة القرع ،
 ومناداة الحجّام .) (71) .

وتلعب « الجبهيّة » دورها في الصّلح بين ذات البين ، ولذلك لا
 تُردّد خائبة لأنّ تقاليد القرى قاسية ، ولأنّ إسعافها المتخصصين
 بالمصالحة قد يجنبهما ولوج المحاكم والوقوع في السّجن . وتنتهي
 مهمّة الجبهيّة غالباً بالخير . وعندها تُقرأ الفاتحة تبريكاً للصّلح
 والتّراضي .. واحترام الكبار مدعاة إلى مبادرتهم بالتّحية ولو حجّهم
 ظلام الليل الحالك . (72)

إلى جانب هذه المسحات من تقاليد مجتمعتنا انتهز المؤلّف
 فرصة زجّ الاحداث في جوّ عرسيّ إبراهيم وعبد الله وأثرى وصفه
 لما يقع في هذه الاعراس من ضحك ، وتصفيق ، ورقص ، ولعب ورق ،
 وشرب شاي ، وتدنّخين تكموري ، وأكل حلويات ، وحديث عن
 الحبّ والجنس والعزوبة والزوجيّة أمام بصر السّلطان (أي العريس)
 ووزيره . وحرص المؤلّف أيضاً على تصوير ما ترتديه النّسوة في أمثال هذه

الحفلات . (73) وقد رسم إلى جانب هذه اللوحة المشرقة وصفا لخروج الجحفة وألعاب الفروسية وطواف موكب العريس بشوارع القرية - بعد صلاة العشاء - على ضوء «الفتار» .. تلك أفراح القرية ، وإنّ النساء ليتهرعن إليها في صخب وفضول ، وانهنّ لا يهملن أيضا حضور « النفاس » وأفراح الختان . (74) وانك لواجد كل ذلك في «التوت المر» مضافا إليه رقة الحكمة التي تتداولها ألسنة هذه النفوس الطيبة . وإنّ منها ما يتخذ شكل النصيحة الصحية كقولهم : (صرد الربيع أشدّ ضررا من برد الشتاء) . وما يتقمّص روح السخرية من المبالغة كقولهم : (يسكر من زبينة ويفرق في الضحضاح) ، وما ينشد توقيف الشيوخ كقولهم : (الابل تمشي على كبارها) .

ARCHIVE
د - تكنيك القصة
<http://archive.mis.sakhrif.com>

1 - التحليل والانطباع

آثر الاستاذ المطوي استخدام الشكل الانطباعي في نسجه لاحداث قصة « التوت المر » وقد اعتمد في هذه الانطباعية تركيز هرمية الاحداث على السرد التقريري ، والوصف ، والدبالوف ، والمنولوج المشفوع أحيانا بشذرات من التحليل السيكولوجي . ولا يحقّ لي في هذا النقد مناقشته اختيار هذا الشكل أو طرح المفاضلة بين الانطباعية والاشكال الفنية الاخرى للقصة ، ما دمت مؤمنا بأن « الهوميرية » تستطيع أن تؤدّي - في هذا العصر الذي لا يؤمن بالخرافات - لوئنا من شرف المعاناة ؛ بيّد أنّ ما يهمني في تقييم الشكل الانطباعي الذي انتهجه

الاستاذ المطوي هو الكشف عن فنية أصوله وطريقة استثماره صناعيا .
وغير خفي أن المؤاخذه على الهفوات التكنيكية في مجال القصة لا يقل أهمية عن المؤاخذه في ارتكاب الأخطاء العروضية بالنسبة للشعر العربي القديم. ولئن ضبط الخليل بن أحمد أوزان الشعر ، فإن تكنيك القصة ضبطه مؤخرا أكثر من ألف خليل يرتدي قبة عريضة ! وإذا كان بعض النقاد لا يقبل التسامح في مؤاخذه القاص عن التواء في منهجية تكنيكية الانطباعي أو التحليلي ، فهو معذور لانه لا يقبل أيضا التسامح مع شاعر يخطيء في تفاعيل الاوزان ويضرب بها عرض الحائط . وفي رأيي أن الادباء قد يسيئون للقصة العربية إذا ما تهاونوا في المحافظة على أصولها الفنية ، ذلك لأن إهمال هذه الأصول قد يسيء للحظة التجريبية ويشوه جدوى المحافظة .

صبرا ، فانا لا أمهد لقسوة نقدي لانطباعية « التوت المر » بهذه الغيرة الحادة ، وإنما أحاول التبرير لعدالة فحصي لما طرأ عليها من انحراف قد يكون - عند غيري - هينا نوعا ما .

والواقع أن كثيرا من النقاد الغربيين يرون أن على الانطباعية كشكل قصصي عام الاستغناء عن تحليل تيار اللاوعي أو التداعي ، ذلك لأن التحليل له أصوله في القصة السيكلوجية ، وهو يتنافى مع السرد أو التقرير المباشر من طرف المؤلف ، ويرتكز على انسياب عريض من تداعي ما يكمن في اللاوعي . واني لأوافق « ليون ليدل » على أن الانطباعية يجب أن تقلل من مراعاتها لتنمية الأحداث عن طريق السرد ، وان تحاول استخدام المنولوف - كما فعل الاستاذ المطوي -

لتبرز للقارئ نوعاً ما أهمية تكثيف الأحداث من وجهة نظر أبطال القصة . وهنا كان على مستخدم الشكل الانطباعي توخي الحذر في استخدام التحليل (بصريحته : المباشر ، وغير المباشر) لاعتبار أن التحليل قد يلزمهم الامانة والدقة في فضح اللاوعي . وهذا من شأنه أن يصرفهم عن متابعة السرد والاهتمام بتقرير ما يحدث خارج ذوات أبطالهم . وسأحاول في المقطع الموالي من هذا النقد فحص دور المنولوف في قصة « التوت المر » ، وذلك ليتسنى لي التعقيب على فنيته شكلها العام .

لقد استخدم المؤلف السرد التقريري في قصته ونهج به في خاتمة القصة إلى منحى «الريبورتاج الصحفي» ، وقد خففت هذه الريبورتاجية التي تقصت وصف عرس عبد الله من تعين السرد وإجلاء ما يتفرع على تكثيفه من مواقف الأبطال ، وتوج المؤلف هذا الريبورتاج بومض خاطف لخاتمة هوميرية مغلفة ، كشف لنا بها عن معجزة اطلاق ساقى الكسيحة .. ولئن برز العلم الحديث أو برزت ظواهر الخوارق الطبيعية إمكانية تحقيق هذه المعجزة فإن فنية القصة الانطباعية لا تبرر روايته على أساس هوميري يقفل خاتمة الانسداد الفني . ولقد حاول المؤلف التخفيف من هذا الطلق - الذي ظل هو ميروس يحول به أبطاله إلى رحاب السماء ! - فعكس في اختصار سريع ما جاش في قلب عبد الله من مشاعر كناً نود - ما دام قد استخدم المنولوف - لو بثها بتوسّع في انسياب اللاوعي حتى يخفّف من وطأة استخدامه للريبورتاج .

يضاف إلى كل هذا أن الوصف الخارجي لتصرفات الأبطال طغت

عليه حركة الحدث العام الموجّه (أي مقاومة آفة التكروري). فجاء السرد مغلفاً لوجهة النظر، ولم يترك للديالوف في الفصول الأولى من القصة اكتساب التوازن مع الحوار الذي فتحه المؤلف أثناء روايته لما دار من حديث بين أفراد جمعية انقاذ الشباب. وهكذا تنازع القصة السرد التقريري المستفحل في الفصول الأولى، والديالوف المكنن في الفصول الأخيرة.

2. - دور المنولوج

يرى الفيلسوف سارتر أن (المنولوج الداخلي الموهل في المثالية أكثر مما يلزم لكي يكون صادقا، والموهل في الواقعية أكثر مما يلزم لكي يكون كاملا، إنَّما هو تنويج للتكنيك الذاتي، ففيه وعن طريقه وعى الادب اليوم ذاته) (75) ويقول «دوجاردان» إنَّ (المنولوج حديث شخصية معينة، والغرض منه نقلنا مباشرة إلى الحياة الداخلية لتلك الشخصية دون تدخل من المؤلف بالشرح أو التعليق. وهو يعتبر حديثا لا مستمع له لأنه حديث غير منطوق) (76) وهذا الحديث غير المنطوق الذي زرعه مؤلف «التوت المر» في مواقف عدة يوضح - على سبيل المثال لا الحصر - تفكير عبد الله في نكبة عائشة بعائتها، أو إحساسه بوعيه الذاتي حين يتساءل: (هل أصبحت فيلسوفا يبحث عن المثل العليا؟) أو (ترى ماذا يحصل لو أنني أمسكت بحجر بدل رأس البصل، وألقيت به في الزقاق؟) (77) هذا التيار الواعي في عملية التداعي كان المؤلف كثيرا ما يمزج بينه وبين التحليل الخارجي فيفسد بذلك فنية التيار النفسي، ويقع في هفوة التدخل بصفة مباشرة لتوضيح أو شرح أو تعليق ما يستتر وراء المنولوج. وحبذا لو جاء تحليله

الخارجي مستقلاً عن المنولوف ، وذلك بأن يسبقه أو يليه كما انتهج المؤلف ذلك في أكثر من موقف . لكن المؤلف كان يستهويه أحياناً الوصف والتحليل الخارجي فيسيطر به على انسياب المنولوف ويحوّله به . وقد يعتمد أحياناً إلى العكس فيحوّل بتفجير المنولوف تسلسل التحليل الخارجي ، ولكي نجنب القارئ وطأة اطالة هذا النقد نكتفي — مثلاً — بتأمل موقف عبد الله من تردّده في الدخول إلى دار إبراهيم . فقد انساق المؤلف إلى تحليل عوامل هذا التردّد : (راودته فكرة التجربة .. لماذا لا يقدم اللبلة طوعاً منه على مشاركة الرفاق في تدخين التكروري؟ إنه سيزداد معرفة بأسرار هذه الحشيشة .. — حتى إذا ناقش في شأنها أو جادل في أمرها كان على بينة أتمّ وحجة أقوى .. وظلّ يتردّد ..) (78) وهنا يحوّل المؤلف التحليل إلى المنولوف بدون انتهاء الفقرة أو رجوع لأوّل السطر : (لا .. لا .. هذا لن يكون .. إنه الشيطان .. إنها الشهوة ..) و (لا .. لا ..) هذه ، هي صوت باطني كان يجب أن ينطلق من أعماق عبد الله . وفي الجامع — وهذا مثال ثان — يشرّد عبد الله وراء خواطره : (أغراني إبراهيم بتسلق الشجرة .. كان بها عّش حمام ..) وينساب المنولوف وفجأة يقطعه السرد : (وفي الليل بات يصرخ ..) حتى إذا نمّت صورة الإحساس المتخيّل بتداعي ما قد رسب في اللاوعي استأنف المؤلف إحياء الموقف بواسطة التحليل لا المنولوف : (كانت النخلة «عمّارية» .. — .. صعد فوقها مرّة فبدت له سطوح المنازل ... لم يستطع أن يرى سطح منزلهم .. كان بعيداً .. إذا نظر إلى أسفل بدا له قسم كبير من الواحة) . (79) وينمّي المؤلف سبب سقوط عبد الله ، ولكن لا يعايش إحساسه بألم

السقوط، بالرغم من أنه قد ابتعث هذا الإحساس وفجر بواذره في المنولوج،
وتلك لعمري أحسن لقطة في القصة فوت المؤلف لإقحامنا في ذكرها
فخسرنا متعة الشعور أو التواجد مع الألم الذي تخيله البطل . وقد
كان باستطاعة المؤلف منحنا هذه المتعة لو واصل زرع إحساس
عبد الله بألم السقوط من النخلة عن طريق المنولوج .

3. - تعقيب على الفحص

لقد أدرجت خلال فحصي لمضمون قصة « التوت المر » عند نقدي
لوجهة النظر مسألة تعميق وجهة نظر إبراهيم ، وقد أرجأت إيضاح
تعليقي على هذا التعميق إلى هذا الفصل من النقد ، وذلك ليتسنى لي على
مستوى التعقيب على شكل القصة فحص أجمل اثاره تكنيكية طرحها
المؤلف لتجلية شخصية إبراهيم . فقد عمد إلى استخدام الرمزية في
استحضار التجربة الزائلة التي يعتبر النقاد استعمالها ضربا من التعبير
الرائع عما يجول في الذهن . (80) (فضوء المقهى يمتد على طول
الساحة ساطعا ضيقا .) كاحساس إبراهيم في دقة موقفه من خيانة
أبيه .. (وهو يأخذ في الاتساع والفضالة إلى أن يتلاشى في الظلام . وقدماءه
تطآن مسرب النور ..) إن ما سوف يقدم عليه هذا البطل تجربة زالت ،
وإن المؤلف ليسعى إلى إحيائها عن طريق الرمز ، باستخدام ضوء
المقهى وظل إبراهيم الذي يدوسه : (وجهر عينيه الضوء .) كما جهرته
خيانة أبيه وضرورة الاصطدام به .. (والفتت إلى الوراء ..) أيهرب من
وطأة شعوره ؟ (فرأى ظله عملاقا طويلا يمتد مع مسرب النور إلى
نهايته ..) وهنا .. وفي روعة كالسحر يلقط المؤلف الاثارة الفنية ،

ويظفر بأشرق صورة رمزية .. (كم مرة شاهد فيها إبراهيم ظله ؟
كم لعب بذلك الظل مع أترابه في القرية على ضوء القمر ؟ .. كم
شاهد هذا الظل بعد أن صار شاباً ناضج الفكر قادراً على التمييز ؟
كان يرى هذا الظل فلا يثير فيه انتباهها ، ولا يندفع به إلى اللعب
عندما أصبح شاباً . أمّا هذه المرة ، وفي هذه اللحظة بالذات فقد
بدا له هذا الظل موحياً ، مثيراً .. لم ير فيه إلاّ شبح خيانة والده
مخيفاً .) ، (وتشاققت خطاه كأنه يتوقل جبلاً صعباً ..) وأيّ جبل !
إنّه يعيش تجربة محرقة ، وقد استطاع المؤلف استحضارها من
الاضمحلال والزوال وأثار بها أجمل صورة رمزية تقمّصت روعة
اللفظ للتعبير عما يجيش في الذهن . (81) .

إلى جانب هذه النقطة التكنيكية الرائعة نجد هفوة تقنية بعث
المؤلف فيها رواية الواقع من خلال الديالوفا ؛ فعائشة تقصّ لاختها
ما روته فاطمة من خبر «سطل» عبد الله وإقدامه على أكل اللحم نيثاً ،
وإذا بها تنتهي إلى القول بأنّ عبد الله استعاد ذاكرته (وبهره ضوء الشمس
وطلوع النهار فعرف أنّه تخلف عن عمله فاهتزّ وارتعدت فرائصه ،
وعاد إلى وعيه الكامل . ماذا سيقدّم إلى أمّه من أعذار ؟ بماذا سيجيئها
إذا ألحّت عليه في معرفة سرّ أكل اللحم النيّء . وبحركة عصبية
ألقي بالغطاء عنه واستوى قائماً . ثم فرك عينيه وتمطّط بنصفه الأعلى
فسمعت طقطقات ظهره . وقال لفاطمة ..) ويظلّ الديالوفا تائها
ويعتايه ديالوفا آخر ولا يتركه إلاّ بعد صفحتين ونصف ، حين ينهيه
المؤلف بقوله : (وسكنت عائشة ..) (82) فيحسّ القاريء بأنّ سير تتبعه

للقصة قد اضطرب ، ويدعوه هذا الاضطراب إلى مراجعة ما يقرأ
ليؤكد من أنه ما زال يتابع حديث عائشة ؛ ذلك لأنه يدرك أن من
يروى الحديث عن شخص ما لا يستطرد ، ويستفيض في وصف ما يقع
لهذا الشخص من دقائق وتفاصيل هو بعيد عنها أولا ، وهي ثمت ثانيا
بصفة مباشرة إلى مجال شرح إحساس خارجي لا يجول إلا في خاطر
المتحدث عنه : كتفكير عبد الله في الاعذار وما يكتنف موقفه من
حركة تساير الحدث العام للقصة .

بالإضافة إلى هذا الخطأ التقني يلوح الزمن - عبر القصة - مضطربا
سواء في موقف حبّ عبد الله كما شرحت ذلك في الانعطاف الباطني
أو في حركة المقاومة الجماعية للتكروري . وهذا الاضطراب في
الزمن الآلي المبعوث في القصة تكشفه أيضا زوجة إبراهيم . فبداية
مكافحة التكروري بدأت في عرسها ، وحين أقدم زوجها على حرق
دكان أبيه كانت (في شهرها الثامن) (83) في حين أن اجتماع الاخوان
لم يتعطل إلا لمغيّب محمود الذي قضى أياما قليلة في تونس عاد بعدها
سريعا ليهيئ للوازم هجرته !

بقيت مشكلتان شكليتان أظن أن المؤلف لم يكثرث لهما رغم
أنهما يسهلان مهمة الناقد وبريحان القارئ أثناء مراجعته لما يطالع .
وتتعلق أولى المشكلتين بتنظيم الديالوق .. .

• ويظهر أن المؤلف حرص على هذا التنظيم اذ قد أثبتته في مسودة القصة ،
ولما دفع بها إلى الطباعة سها العمال عن اثباته ، فسقط خلال
تصنيف الحوار ..

لقد جرت العادة على أن يثبت المؤلف نقطا في مكان تخلي أحد المتحاورين عن دوره في الكلام ، وبذلك يدرك القارئ عدّة أغراض منها : امتناع المخاطب عن التكلم ، ودعوة الذهن إلى التفكير فيما يكمن وراء هذا الامتناع من تنمية لوجهة النظر أو اصرار على الصمت، إلى غير ذلك من الأغراض .. وإثبات النقط ضروري لتحقيق هذه الأغراض ، إذ هو يجنب القارئ الوقوع في الخلط والالتباس عند اسناده الدور لغير صاحبه ويمكنه في الوقت نفسه من امعان النظر في سر امتناع المخاطب عن التكلم . ولقد تكرر تخلي عبد الله عن دوره في الرد على محاولة أمّه ، وهذا المثل يبرز - من بين خمس محاولات - غموض إدارة الديالوف (84) :

- أتمزح معي ؟ لماذا تلتوي ؟

- لو لم يسبق لي حديث معك ، لقلت : انك خجلت .

فمن الواضح للمتروّي أن الأم تواصل حمل ابنها على الكلام . بينما يتشبّث هو بالصمت . وبما أن الديالوف يقتضي تعميق محاولة الام واثرائها ، فكان أمام المؤلف واجب اغفال دور عبد الله في الكلام فجاء الحوار مجزأ ومترادفا من جهة واحدة (أي الام) ولم يقع إشعار القارئ بذلك . وكان من الممكن إثبات مثلنا على النحو التالي :

- أتمزح معي ؟ لماذا تلتوي ؟

... ..

- لو لم يسبق لي حديث معك لقلت أنك خجلت .

ثاني المشكلتين : تتعلّق بترقيم الفصول وهذا من شأنه أن يجنب الناقد أو القارئ الخلط بين الفصول والمقاطع ، ويسهل عليه الإشارة إلى الموقف المتحدّث عنه بدل مكابدة العناء في حصره بذكر اعداد الصفحات التي قد يطول فيها الموقف ويستهلك الكثير من الصفحات .

هـ : الخاتمة

أخيرا أقول في صراحة إن الأستاذ المطوي استطاع أن يهزّ مشاعرنا بمرارة توتّه ، وأن يخاطب مفهومنا العقلي ، وإنّي لأقرّ بصفة شخصية أنه نجح في (رسم واقع مستمدّ من جوّ المحافظة على الحياة خلال تكشيفه في عالم الفكر وابرازه في أمانة خالصة من شوائب التشويه أو الإخضاع لأقلّ درجة من الانكماش والتقلص .) (85) وتلك لعمري غاية يصبو إليها الادباء في رسم الصورة الجمالية التي نتذوقها في الشكل الدرامي مصفّاة ومنقّحة ، ما دامت تنعكس تلقائيا في مخيلتنا وتكشف لنا عن فنية الخلق التي يتوغّل الاديب بواسطتها في أعماقنا لينفذ منها إلى ما وراء إدراكنا . (86) وهذا توفيق ليس بهيّن ، وهو لا يتحقّق لأيّ كاتب إلاّ اذا امتلك - من جملة ما يمتلك - قدرة الإحساس بالعلاقات التي تربط بين الآخرين (جماعة عبد الله ، مثلا ..) في ضوء علاقتهم بالشيء الآخر (مكافحة المخدر ..) ، والاّ اذا صوّر دراماتيكيّة هذه العلاقات وما تنطوي عليها من مشاعر من داخل عمله الفني . ومهما يكن فإنّ محاولة المؤلف جديرة بالاحترام لأنّه اتخذها وسيلة أبرّز بها القيم الإنسانية ومحّصّها ، وتلك هي رسالة الفنّان الحقّ ، وإنّه لن يقدر على تأديتها إلاّ اذا حقّق لبّ عمله ووصل به إلى معنى يقود إلى الاستبصار الفني . (87) ولقد حقّقت « التوت المر » هذا الاستبصار ، وبدت الرؤية الجمالية فيها واضحة ، وجدوى المعاناة أصيلة ، ونية الإسهام في تنمية مشاعرنا الفطريّة نيرة . وإنّها لتستحقّ بذلك اعتبارنا . وإنّ هذا الاعتبار يجب أن يتمثّل في منحنا حقّها من التقدير بدون مغالاة أو جنوح لظهار رغبتنا في تزكية

من نحفظ له جميل تعطينا بأريج الادب ، وتأسيسه لناد يضمّ أشاتنا
ويلور جهودنا . ولعلّ أقرب سبيل لاقتناع أستاذنا بأنّه أنتج شيئا
نفيسا رواية هذه الاقصوصة عن الفيلسوف سارتر :

سأل رسّام متمرّن معلّمه : متى يجب أن أعتبر لوحتي منتهية ؟
فأجاب المعلّم : عندما تستطيع أن تنظر إليها بدهشة ، وأنت تقول :
أنا الذي صنع هذا ؟ ! (88) .

وحقّا .. فهو الذي صنع هذا التّوت الذي حولته المرارة إلى
حلاوة .

محمد المختار جنات

نستور 1967



ARCHIVE

و - فهرسة المراجع والإحالات

- (1 ، 2) صفحة : 94 من كتاب : « القصة السيكلوجيّة » - تأليف :
«ليون أيدل» ترجمة : «الدكتور محمود السمرة» نشر المكتبة
الاهلية - ومؤسسة فرنكلين - طبعة : 1959 .
- (3) صفحتا : 105 و 109 - من كتاب « ما هو الادب » تأليف :
«جان بول سارتر» - ترجمة : «جورج طراييشي» - نشر
المكتب التجاري - الطبعة الاولى : 1961 .
- (4) صفحة : 9 - من كتاب : « القصة القصيرة الامريكية » تأليف :
«راي . ب . وست» - ترجمة : «سميرة عزام» - نشر : دار
صادر ودار بيروت بمعونة مؤسسة فرنكلين - طبعة : 61 .

- (5، 6) راجع صفحة : 51 وما يليها من كتاب « القصة القصيرة الأمريكية ». وما بين صفحتي : 35 و 37 فيما يخص شرح المؤلف لرأي « ولسم فولكز » ، وقد عالج « رست » بالإضافة إلى ذلك محاولة الادباء الأمريكيين لممارسة المذهب الطبيعي . وقد روى عن « زولا » : « أن بمقدور المذهب الطبيعي في الادب اتخاذ الفن سلاحا للصالح الاجتماعي . »
- (7) راجع تصريحات « سارتر » في فصل « مقدمة الازمنة الحديثة » فيما بين صفحات : 16 و 17 و 28 و 35 - من كتاب « ما هو الادب ؟ » . (انظر التعليق رقم : 3)
- (8) لزيادة توضيح هذا المعنى راجع مقطع « النظم الاجتماعية » المدرج بصفحة : 42 وما يليها من كتاب « مدخل إلى الفلسفة » تأليف : « جون هرمان واغدال (الابن) - وجوستاس بوخلر » ترجمة : « الدكتور ملحم قربان » - نشر : دار العلم للملايين ، ومؤسسة فرنكلين . - طبعة : 1963 .
- (9) صفحة : 158 - من كتاب « مدخل إلى الفلسفة » : (راجع مقطع : الحق والقيمة .)
- (10) صفحتنا : 179 ، 197 من قصة : « التوت المر » تأليف « محمد العروسي المطوي » - نشر : الدار التونسية للنشر - طبعة سنة 1967 .
- (11) صفحة : 43 - من كتاب « القصة القصيرة الأمريكية » : (راجع التعليق رقم : 4) .
- (12) تأمل الموقف المبثوث ما بين صفحتي : 129 و 136 من قصة : « التوت المر » .

- (13) من صفحة : 10 إلى 13 من قصة : « التّوت المرّ » .
- (14) صفحة : 29 — من قصة : « التّوت المرّ » .
- (15) راجع صفحة : 78 من كتاب « القصة السيكولوجية » . (التعليق رقم : 1) .
- (16) تأمل وجهة نظر الصفوة (في كلا الموقفين) الموزعين ما بين صفحتي : 37 و 60 من قصة : « ثرثرة فوق النيل » تأليف : نجيب محفوظ — نشر : مكتبة مصر . طبعة : 1965 .
- (17) صفحة : 73 من قصة : « التّوت المرّ » .
- (18) صفحة : 98 من قصة : « التّوت المرّ » .
- (19) صفحة : 109 من قصة : « التّوت المرّ » .
- (20) راجع صفحة : 147 وما يليها من قصة : « التّوت المرّ » (فقد وقع اختصار هذا الجواز سهواً لتأكيد النقد) .
- (21) انظر فصل : « مشكلة المعنى » صفحة : 137 وما يليها من كتاب : « مدخل إلى الفلسفة » — راجع (التعليق رقم : 8) .
- (22) صفحة : 55 من كتاب « القصة السيكولوجية » (انظر التعليق رقم 1)
- (23) صفحة : 202 من قصة « التّوت المرّ » .
- (24) صفحة : 201 من قصة « التّوت المرّ » .
- (25) صفحة : 205 من قصة : « التّوت المرّ » .
- (26) راجع ما بين صفحتي : 68 و 71 من قصة : « التّوت المرّ » .
- (27) يعلّق « ادوارد كار » على انتشار نزعة الرومانطيقية بما يلي : (إذا كان « روسو » نبي المذهب الرومانطيقى فإنّ الادبية الفرنسية

« جورج صائد » من التابعين الذين نشروا المذهب بين الناس ، وأنزلوه من رتبته الفلسفية العالية . ولا يرى القارىء الحديث في صائد سوى قصة واضحة السذاجة مسرفة العاطفة ، ليس في قصصها الحيوية التي ترفعها إلى مستوى الامتناع ، ولا التماسك الذي يرتقي إلى مرتبة « الكلاسيك » . بيد أن أوروبا في ذلك القرن ، وخصوصا النساء ، لم تكف بالتهافت على كتبها ، بصفتها أدبية لامعة ، بل تبعتها وآمنت بها كنبئية أيضا . - راجع صفحتي : 65 و 66 من كتاب « الجيل الخائب » - تأليف : « ادوارد كار » - تعريب : « أحمد حازم يحيى » - نشر : دار العلم للملايين - الطبعة الاولى : 1963 .

(28) صفحة : 303 من « القصة السيكولوجية » راجع أيضا الفصل

المعقود لشرح « الانعطاف الباطني » من صفحة : 55 إلى 72 .

(29) راجع صفحات : 37 ، 41 ، 45 ، 67 ، 68 من قصة : « التوت المر »

(30) المقطع المدرج بصفحة : 71 من قصة « التوت المر » .

(31) صفحة : 38 من قصة « التوت المر » .

(32) صفحة : 108 من كتاب : « أزومات الشباب » تأليف : « الدكتور

أوجست ايكورن » - نشر : « دار الهلال » - العدد : 144

(مارس - 1963) .

(33) صفحة : 175 من كتاب « أزومات الشباب » .

(34) صفحة : 23 من قصة : « عاصفة على الجنة » المجلد الاول :

تأليف : « ستيفان زفايج » - ترجمة : « عمر عبد العزيز

أمين » - نشر : « الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة » .

- (35) صفحة : 25 من قصة « عاصفة على الجنة » - المجلد الاول .
- (36) تأمل تفاصيل الموقف في صفحة : 67 من قصة : « التّوت المرّ »
- (37) راجع صفحة : 60 من قصة « عاصفة على الجنة » - المجلد الاول .
- (38) صفحة : 42 - المجلد الاول من قصة : « عاصفة على الجنة »
- (39) انظر صفحة : 47 من قصّة : « عاصفة على الجنة » المجلد الاول .
- (40) صفحة : 114 من قصة : « التّوت المرّ » .
- (41) تأمل تفاصيل الموقف في صفحة : 135 من قصة : « التّوت المرّ »
- (42) طالع مشهد هذه الثورة في صفحة : 98 من قصة : « عاصفة على الجنة » - المجلد الاول .
- (43) صفحة : 103 من قصّة : « عاصفة على الجنة » . المجلد الاول .
- (44) صفحة : 202 من قصة : « التّوت المرّ » .
- (45) راجع صفحة : 213 من قصة : « التّوت المرّ » .
http://archivebeta.sukh.it.com
- (46) صفحة : 91 من قصة « عاصفة على الجنة » - المجلد الثاني .
- (47) صفحة : 92 - المجلد الثاني من قصّة : « عاصفة على الجنة »
- (48) انظر صفحة : 141 من قصة : « التّوت المرّ » .
- (49) صفحة : 197 من قصة « التّوت المرّ »
- (50 ، 51) صفحة : 138 من قصة : « التّوت المرّ » .
- (52) راجع صفحة : 40 من قصة : « التّوت المرّ »
- (53) طالع صفحتي : 147 و 164 من قصة : « التّوت المرّ » .
- (54) صفحة : 13 من قصة « التّوت المرّ » .
- (55) صفحة : 66 من قصة : « التّوت المرّ » .
- (56) صفحة : 18 من قصة « التّوت المرّ » .

- (57) صفحة : 140 من قصة « التّوت المرّ » .
- (58) تأمل تفاصيل المشهد في صفحة : 42 – من قصة « التّوت المرّ ».
- (59) صفحة : 139 من قصة « التّوت المرّ » .
- (60) صفحة : 179 من قصة : « التّوت المرّ » .
- (61) طالع حادثة الحريق الذي شبّ في دكان أحمد العائب .. ما بين صفحة : 182 و 189 من قصة « التّوت المرّ » .
- (62) انتشر حديثه من صفحة : 73 من قصة « التّوت المرّ » .
- (63) صفحة : 145 من قصة « التّوت المرّ » .
- (64) راجع صفحتي : 157 و 158 من قصة : « التّوت المرّ »
- (65) صفحة : 43 من قصة : « التّوت المرّ »
- (66) وقع ذلك ابتداء من صفحة : 179 – إلى المقطع الاخير من قصة « التّوت المرّ » .
- (67) ورد ذكر هذه الاطعمة في صفحات : 49 و 96 و 116 و 199 من قصّة « التّوت المرّ » .
- (68) من عادة « المسطولين » جعل الكأس الاولى ثقيلة تنغلب عليها حلاوة السكر لا مرارة الشاي ، وذلك لاستساغتها في القضاء على جفاف الحلق . .
- (69) صفحتنا : 79 و 145 من قصة : « التّوت المرّ » .
- (70) وددنا لو أتمّ المؤلف الصّورة بذكر بعض ما يقال من أدعية في هذا المقام .

- (71) ينادون الحجاجَ ليفصد الدم من الجبين أو من قفا الرأس .
- (72) صفحة : 56 من قصة : « التّوت المرّ » (ويدعى الرجل الكبير في الجنوب بالعمّ توقيرا له .)
- (73) تأمل ما ارتدته أم عبد الله في حفلة ختان ابن أختها - صفحة : 198 من قصة : « التّوت المرّ » .
- (74) يطبخ قرويو الجنوب التونسي « العصيدة » . فلم أغفل المؤلف ذكر ذلك حين صور « نفاس » عائشة ؟ - راجع صفحتي : 213 و 214 من قصة « التّوت المرّ » .
- (75) صفحة : 236 من كتاب « ما هو الادب ؟ » (راجع التعليق رقم 3).
- (76) طالع التعقيب على تمة رأي « دوجاردان » في المنولوف من صفحة 116 وما يليها من كتاب : « القصة السيكولوجية » . (راجع التعليق رقم : 1) <http://Archivebeta.sakhi.net.com>
- (77) راجع صفحتي : 38 و 63 من قصة « التّوت المرّ » .
- (78) تأمل التحليل الخارجي لثردّد عبد الله ، فقد اختصرناه لتسهيل سلامة النقد - راجع صفحتي : 103 و 104 من قصة : « التّوت المرّ » .
- (79) وقع في عرض هذا المنولوف اختصار ، ويحسن بالقارئ الرجوع إلى صفحة : 119 من قصة « التّوت المرّ » ليزداد احاطة بتفاصيل هذا العرض .
- (80) راجع صفحة 59 من كتاب « القصة السيكولوجية » .
- (81) تأمل ذلك في صفحتي : 183 و 184 من قصة « التّوت المرّ » .

(82) ينحصر هذا الديالووف فيما بين صفحات : 25 و 28 من قصة : « التوت المر » .

(83) صفحة : 187 من قصة : « التوت المر » .

(84) تكرر هذا الاغفال في صفحات : 199 و 200 و 201 من قصة : « التوت المر » .

(85) صفحة : 234 من كتاب : « القصة السيكولوجية » . (التعليق رقم 1)

(86) جستم « سيجموند فرويد » عملية التوغل هذه بضرب مثل (الطفل الذي يتجاوز بكائه الغنائي «حين يناغي» بطلب اللبن لينساق وراء حلول ادراك متزايد في نفسه بأن اللبن يسكن الجوع ، ثم يتبع ذلك ادراكه بأن الشيء أو الزجاجة التي تمدّه باللبن ذات صلة بأشخاص آخرين . وهذا يؤدي به إلى مرحلة الشعور بنفسه وتحسسه لها بالنسبة لأي شيء أو أي شخص .) راجع صفحة : 263 من كتاب « القصة السيكولوجية » .

(87) راجع ما أدرج في هذا الصدد بصفحة 134 من كتاب « مدخل إلى الفلسفة » . (التعليق رقم : 8) .

(88) صفحة : 88 من كتاب « ما هو الادب » : (التعليق رقم : 3) .

• ج • م • ج

فهرست

3	قصص	تصدير
15	احمد ممو	تشریح
11	عمر بن سالم	مجلس انس
18	زهرة الجلاصي	الصخرة والعربة
23	حمودة الشريف	وداد
37	فاطمة العلاني	رجل وامراتان
44	سنونيا يوسف	الذوق هو ، هو !
46	محمد الهادي بن صالح	خلف باب مغلق
54	ابراهيم بن مراد	في منعطف الطريق بحديقة الحيوان
60	نتيلة التباينة	شيء في نفسك
65	تعريب : منجي الردادى	البلبل والوردة
73	يحيى محمد	الجدار
		منهجية المذهب الطبيعي في قصة
82	محمد المختار جنات	التوت المر